طريقة المرابطين بالأندلس "دراسة ميدانية للتصوف بمدينة إشبيلية بأسبانيا"

"Al Murabitin's Approach in Andalus:

A field study of Sufism in Seville City, Spain"

الدكتورة/ منال عبد المنعم السيد جادالله

Prof. Dr. Manal Abd El Moneim Gadallah

الأستاذ المتفرغ بمعهد دراسات البحر المتوسط –كلية الآداب– جامعة الإسكندرية

Professor at Mediterranean Institute Faculty of Arts- Alexandria University

manalgadallah10@gmail.com

تاريخ تسلُّم البحث : 2025/3/3

تاريخ قبول البحث : 2025/3/20

الملخص :

تدور دراستنا في فلك مجال من أهم مجالات العلوم الإنسانية وهو الأنثروبولوجيا الدينية. وقد تزايدت أهمية التصوف والإقبال على دراسته، إلا أن المباحث الأصلية التي تكشف حقيقة التصوف بجوانبه المختلفة، ما زالت نادرة مع أن المعنيين بدراسة تعاليمه كثيرون. وكان ذلك دافعاً قوياً لزيادة الأبحاث ذات الطابع الصوفي الواقعي؛ باستخدام المنهج الأنثروبولوجي التقليدي القائم على المعايشة وخوض التجربة الصوفية. اعتمد البحث على ثلاثاً نماذج واقعية مختارة من رجال طريقة المرابطين في المجتمع الغربي، واهتمت الدراسة بدور هؤلاء الرجال ونظرتهم لأنفسهم في نشر دعوة الإسلام في المجتمع الغربي بصفة عامة والمجتمع الأندلسي بصفة خاصة. وقد تم اختيار المجتمع الأندلسي مجالاً جغرافياً لهذه الدراسة لما تتميز به المنطقة من مكانة فريدة حضارياً ودينياً وتاريخياً وأثرياً.

استغرقت الدراسة الميدانية عاماً وخمسة أشهر في الفترة من نوفمبر 2020 حتي مارس 2022 باستخدام منهج دراسة الحالة لبعض شيوخ الطريقة والاعتماد على المقابلة والملاحظة بالمعايشة لبعض أعضاء طريقة المرابطين بإشبيلية. والمزاوجة بين الأساليب الأنثروبولوجية والأساليب النفسية:"المنهج السيكوانثروبولوجي" بهدف التعرف على التجربة الصوفية الذاتية؛ التي هي أكثر ارتباطاً بالنفس والقلب والكشف والإلهام، وهذا ما عرف لدى الصوفية بالعلم الباطن أو العلم اللدني.وكذلك التعرف على أوجه التشابه والاختلاف بين الطرق وبين الأفراد في التجربة الصوفية باختلاف المنشأ مكاناً وزماناً.

وكان من أهم نتائج الدراسة أن التصوف رغم أنه فرض عين على كل مسلم من حيث السعي نحو الأخلاق وتزكية النفس والمعرفة، فإن العروج في مراتب النفس العليا وتحقيق اليقين بالوصول إلى المعرفة؛ لايصل إليه كل من يسعى ويرغب، بل هم قلة من المختارين من الله عز وجل. لذلك بدأ تصوف نماذج طريقة المرابطين بالهبة والاختيار من الله عز وجل، مع السعي نحو المعرفة. وهذا كان الرد على التساؤل الأول للدراسة. والحقيقة التي أثبتتها الدراسات السابقة للتصوف في مصر والمغرب هي اختلاف التصوف باختلاف المجتمعات لما يتعرض

له كل مجتمع من تحديات داخلية أو خارجية. وما أثبتته الدراسة التي نحن بصددها أن تصوف المجتمعات الغربية اختلف عن غيرها من المجتمعات، وهذا كان الرد على التساؤل الثاني للدراسة. وما أكده مشايخ طريقة المرابطين أن المنهج لديهم قائم على علاقة القلب بالقلب؛ وتقوية الرابطة الروحية بين المريد والشيخ بالالتزام بأوراد الطريقة والمداومة على الأذكار. وهذا إن دل إنما يدل على أن الطرق الصوفية واحدة من حيث الهدف والغاية، بينما الاختلاف يكمن في الأسلوب والمنهج. وعن نظرة رجال التصوف لذاتهم- التساؤل الثالث للدراسة- يرى الغالبية أنهم المختارون من الله، ولديهم شعور قوي بالخصوصية والتميز، وعليهم مسؤولية يجب تحملها وبذل الجهد من أجلها. وترتب على هذا الشعور جعل التصوف الغربي تصوفاً حركياً ديناميكياً قائماً على الشجاعة في الجهاد والاجتهاد من أجل الارتقاء والترقي في الظاهر والباطن. وهذا كان الرد على التساؤل الرابع والأخير للدراسة. ومن أهم نتائج الدراسة ما فرضه الرجل الصوفي الغربي من إنشاء معاهد ومؤسسات علمية إسلامية ومساجد دينية في مختلف البلدان الأوروبية؛ وإجبار السلطات الأسبانية على احترام الشعائر الإسلامية، بل وتوفير الأمن لهم بمختلف أماكن الاحتفالات الخاصة والعامة. وإنشاء صفحة نشطة على شبكة الإنترنت من أجل التعريف بالدين الإسلامي وبث الدروس الدينية لناطقي اللغة الأسبانية في مختلف أنحاء العالم.

توصي الدراسة بمزيد من الدراسات الأنثروبولوجيا العربية ذات الطابع الثقافي والاجتماعي لمختلف مدن أسبانيا، خاصة ذات الأثر الثقافي الإسلامي ليس فقط بإقليم الأندلس؛ لتاريخ الحضارة الإسلامية بالمنطقة؛ بل وباقي المدن مثل فالنسيا Valencia، ومرسيا Murcia. لما تتمتع به هذه المدن من الموروثات الثقافية الإسلامية؛ وهذا إن دل إنما يدل على تأثير الحضارة الإسلامية على مدن أسبانيا كافة، ليس فقط تاريخياً وأثرياً، بل ثقافياً واجتماعياً.

الكلمات الدالة: الأنثروبولوجيا الثقافية، الأنثروبولوجيا الدينية.

Abstract:

Our study revolves around one of the most important fields of human sciences, namely religious anthropology. The importance of Sufism and the interest in studying it has increased, but original investigations that reveal the truth of Sufism in its various aspects are still rare, even though those interested in studying its teachings are many. This was a strong motivation to increase research on real-life Sufism, using the traditional anthropological approach based on living and experiencing the Sufi experience. The research relies on three real-life examples of Al-Murabitun men in Western society. The study shows the role of these men and their perception in spreading the call of Islam in Western society in general and Andalusian society in particular. The Andalusian society is chosen as the geographical area for this study because of the unique cultural, religious, historical, and archaeological status of the region.

The field study lasted one year and five months from November 2020 to March 2022, using a case study approach that combines anthropological and psychological methods: “the psycho-anthropological approach” with the aim of identifying the subjective Sufi experience; which is more related to the soul, heart, revelation and inspiration, which is known among Sufis as esoteric

or mystical knowledge. The study also identifies the similarities and differences between methods and individuals in the mystical experience by different origins, place and time.

One of the most important findings of the study is that although Sufism is obligatory for every Muslim in terms of striving towards morality, self-cultivation, and knowledge, it is not accessible to all those who seek and desire it, but only to a few chosen by God Almighty. Therefore, the Sufism of al-Murabitin begins with the gift and choice of God Almighty, with the pursuit of knowledge. This is the answer to the first question of the study. The fact that previous studies of Sufism in Egypt and Morocco have proven that Sufism varies among different societies due to the internal and/ or external challenges each society faces; the study in question proves that the sufism of Western societies differs from other societies, and this is the answer to the second question of the study. The sheikhs of the Al-Murabitin order emphasizes that their approach is based on a heart-to-heart relationship; and strengthening the spiritual bond between the murid and the sheikh by adhering to the rituals of the order and practicing the dhikr. This indicates that the Sufi orders are the same in terms of goal and purpose, while the difference lies in the method and approach. The majority of Sufis believe that they are God's chosen ones and have a strong sense of distinction, and that they have to exert effort in order to fulfill their responsibility towards God. As a result of this feeling, Western sufism is dynamic based on the courage of jihad and diligence in order to ascend and progress in the outer and inner worlds. This is the answer to the final question of the study.

Among the most important findings of the study is the imposition of Western Sufi to establish more Islamic institutes, scientific institutions and religious mosques in various European countries; This forced the Spanish authorities to respect Islamic rituals and even provide security for them in various private and public ceremonies. And the creation of an active webpages to introduce the Islamic religion and broadcast religious lessons to Spanish-speakers around the world.

The study recommends more Arabic anthropological studies of the cultural and social nature of various cities in Spain, especially those with an Islamic cultural impact, not only in Andalusia because of the history of Islamic civilization in the region, but also in other cities such as Valencia, Murcia, and Valencia. This indicates the influence of Islamic civilization on all cities in Spain, not only historically and archaeologically, but also culturally and socially.

Key words: Cultural Anthropology, Religious Anthropology.

المقدمة

نتج عن موقع الأندلس المميز قي قلب أوروبا ودول البحر المتوسط امتزاج بين الحضارة العربية الإسلامية والرومان واليونان والفينيقين والقرطاجين والقوط حضارة إسلامية أندلسية ازدهرت على مدى ثمانية قرون 711 وحتى 1492م. عندما عزم موسى بن نصير على فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد بجيش من المقاتلين الأشداء قوامه سبعة آلاف رجل من البربر وثلاثمائة كانوا من العرب، وانضم إليهم سكان الأندلس الساخطون على حكم القوط؛ واتخذ طارق من الجزيرة الخضراء رأس جسر يعبر منه إلى بقية مدن الأندلس وأقاليمها. ونتج عن هذه المعركة هزيمة جيش القوط هزيمة منكرة. وأحدث انتصار طارق بن زياد على القوط دوياً هائلاً، وكان ذلك وراء هجرة

العرب والبربر إلى الأندلس، وبذلك كون العرب في هذه البقاع مراكز قوية للعروبة والعربية أخذت تزداد قوة واتساعاً مع الزمان. وعلى الرغم من ذلك طبق المسلمون في الأندلس سياسة التسامح الديني والمعاملة السلمية الطيبة بين مختلف الأجناس والأديان والسماح بإقامة الشعائر الدينية المختلفة لليهود والنصاري. وما لبثت هذه السياسة أن أثمرت وأمدت الأندلس بحضارة إسلامية شهد لها التاريخ –ثمانية قرون– في مختلف المجالات العلمية والفنية والثقافية والأثرية؛ وظلت هذه الحضارة مزدهرة ذات أثر فعال مدة ثلاثاً قرون بعد خروج المسلمين؛ وحتى هذا التاريخ كانت اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة في الأندلس، وكانت كافة المعاملات الورقية تتم باللغة العربية. ومع هذا الازدهار عرف عن رجال الأندلس رجال علم ودين وجهاد، فهم بارعون في الفكر والشعر والفلسفة والمعرفة، وذاع صيتهم بمختلف البلدان حتى تنافسوا كثيرا مع علماء عصرهم وتفوقوا عليهم، حتي أصبحت أفكارهم وأشعارهم هدفاً للترجمة بمختلف اللغات (اللاتينية واليونانية والفارسية)؛ وكان لرجال الأندلس وهم السكان الأصليون الذين تمسكوا بدينهم وعرفوا في ذلك الوقت بإسم "عجم الأندلس" أو "عجم الذمة" دورٌ مهمٌ في ترجمة كثير من الكتب العربية لإجادتهم اللغتين العربية واللاتينية، وكانوا حلقة اتصال مهمة بين الثقافتين العربية والأوروبية. (حلمي خليل: عربية الأندلس، دراسة في البنية اللغوية والاجتماعية لأهل الأندلس، 1994، ص 12) ونتج عن ذلك ما أقره العلماء والمتخصصون من فضل العرب في مختلف العلوم وتأكيد أن ليس هناك فن ولا علم ولا أدب في أوروبا إلا ويدين للعرب عامة وعرب الأندلس خاصة.

إشبيلية Sevilla "سيفيا"–كما ينطقها الأسبان– عاصمة الأندلس المستقلة، وهي تمثل عنصرًا مختلفًا عن باقي المدن الأندلسية؛ وتعتبر من أشهر مدن الأندلس تاريخياً وعمرانياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً. وهي أكبر مركز تاريخي فني في أوروبا، مما جعلها تتمتع باهتمام سياحي ملحوظ بفضل العديد من المعالم الأثرية ومن بينها الكاتدرائية التي كانت مسجد إشبيلية الرئيسي الكبير. وأصبحت المئذنة القديمة للمسجد هي البرج الذي يرمز للمدينة ويميزها وأطلق عليها اسم "خيرالدا Giralda والتي تعد من أهم آيات الفن العربي الإسلامي في الأندلس، وتم إعلانها موقعًا للتراث العالمي من قبل اليونسكو في عام 1987. ومن أكثر السمات المميزة لمدينة إشبيلية إنها تعيش منذ العصور القديمة في توازن دائم بين الثنائيات المختلفة؛ وتم ذلك من خلال الحفاظ على اللغة مع تعلم العربية والتمسك بالعادات والتقالد والحفاظ على الظواهر الثقافية والدينية، والتمسك بالنظم والقواعد والقوانين المقررة منذ الفتح الإسلامي مع رغبة قوية لمواصلة التقدم والتنمية المستدامة.

تميزت الشخصية الأندلسية بحب الفن من الموسيقى والغناء والرقص؛ وهذا ما يشاهده الجميع بمختلف مظاهر العروض الممتعة في الأماكن العامة بالشوارع والحدائق والمتنزهات. ومن أهم الاحتفالات والمهرجانات الأندلسية الشعبية مهرجان Ferία "فريا" وهو مهرجان فولكلوري سياحي مميز اشتهرت به مدينة إشبيلية ويقام في فصل الربيع؛ ويعرف بمعرض أبريل، حيث يقام في حي "لوس ريميدوس" ويستغرق أسبوعاً كاملاً تظل فيه مدينة إشبيلية في صحوة مضاءة ليلاً ونهاراً. ومنذ عام 1965 أصبح احتفالا دولياً مميزاً؛ ينتظره محبو المهرجانات الفولكلورية؛ يفد إليه زوار من مختلف أنحاء العالم للمشاركة فيه. ويتميز المهرجان بفن الأندلس المميز "رقصة الفلامنكو" والحفاظ على الطابع التقليدي لملابس الرجال والنساء، وخاصاً زي النساء الذي يتميز بالملابس المزركشة ذات الألوان المبهجة الزاهية؛ وفي حالة مشاركة بعض الفتيات في هذا المهرجان –من خارج إشبيلية ومن خارج الأندلس– يحرصن على ارتداء الزي التقليدي الأندلسي كنوع من احترام العادات والتقاليد الأندلسية للمشاركة في المهرجان بصورته الحقيقية.

من أهم الظواهر الدينية والثقافية في إشبيلية "أسبوع الآلام" أو "الأسبوع المقدس" سيمانا سانتا Semana Santa، والذي يذهب إليه العديد من مختلف دول العالم سنوياً للمشاركة، والذي يرتبط اسمه باسم إشبيلية. ويعرف بالاحتفال الديني ذي العمق التاريخي الذي ترجع أصوله إلى القرن الرابع عشر، وأصبح منذ القرن السابع عشر وحتى وقتنا هذا المهرجان الحضاري الكبير والأكبر بإشبيلية، ويعد من أهم المهرجانات الوطنية والدولية ذات الأهمية السياحية. يوجد في إشبيلية أكبر عدد من الكنائس بها أكثر من 114 كنيسة، وبها أكبر كاتدرائية قوطية في العالم وثالث أكبر معبد كاثوليكي في جميع أنحاء لعالم. وتعد من أكثر البلدان التزاماً بالتعالم الكاتدرائية بأسبانيا. ويشهد التاريخ أن معظم هذه الكنائس كانت في الأصل مساجد إسلامية. وحتى وقتنا هذا توجد بعض الآثار الإسلامية داخل الكنائس، وتعد من المزارات الأثرية والسياحية بمدينة إشبيلية. ومن أشهر المزارات الإسلامية بالأندلس قصر الحمرا بغرناطة والذي تميزت حوائطه بالأشعار العربية، وكذلك بعض الآيات القرآنية "لا غالب إلا الله" " الله غالب"وبعض الحقائق الربانية " الملك لله والقدرة لله والعزة لله".

مسجد إشبيلية الحالي يقع في وسط المدينة وهو مقر ديني وثقافي لأبناء طريقة المرابطين بالأندلس ومكان لتجمع مسلمي المدينة لأداء شرائعهم والقيام بواجباتهم الدينية وتلقي دروسهم الإسلامية. وهو مكان مؤقت لحين الانتهاء من جمع التبرعات لبناء مسجد خاص لطريقة المرابطين.

أهمية الدراسة

تهتم الدراسة بدور رجال طريقة المرابطين في مجتمع إشبيلية دينياً واجتماعياً، ونظرة هؤلاء الرجال للتصوف ونظرتهم لأنفسهم. ولاجدال في أن بقاء الجماعات الصوفية وامتدادها للمجتمعات الغربية في تحدي ظاهر للعيان؛ إنما هو دليل على قيام هذه الجماعات بأدوار ووظائف فعالة للفرد والمجتمع. ومن ثم قام البحث من أجل دراسة نماذج واقعية من هؤلاء الرجال ممن نشأوا وتربوا وتعلموا في البلدان الأوروبية حيث التقدم العلمي والحضارة الغربية؛ إلا أنهم رأوا في التقدم العلمي طغيان وجبروت لافتقادهم للسلام والأمن والاطمئنان. وكان ذلك مدعى للسعي نحو راحة القلب والروح إلى جانب راحة الجسد. والأمر الذي لا شك فيه دور التصوف للروح والقلب؛ وأساسه الحب في الله والأخلاق وتزكية النفس. التجربة الصوفية تجربة ذاتية "روحية" هدفها السعي نحو "المعرفة" التي خلقنا من أجلها. وفي الآية القرآنية "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (سورة الذاريات: آية 56) جاء في كثير من كتب التفسير ليعبدون بمعنى "ليعرفون" وبذلك كانت المعرفة غاية التصوف؛ وهي ليست علما يدرك بالدراسة والتعلم فحسب، وإنما يتم الوصول إليها بالسعي والذوق والهبة من الله.

تعد الدراسة من أوائل الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية في هذا المجال وخاصة في مجتمع إشبيلية بالأندلس. وبالبحث في المراجع والوثائق للدراسات السابقة في هذا المجال بمختلف مدن الأندلس لم يتم العثور على دراسة في هذا التخصص من حيث المكان والزمان. ومن ثم اهتمت الباحثة بالدراسات التي سبق لها الاهتمام بها في مرحلة الدكتوراة في موضوع التصوف في مجتمعات شمال أفريقيا وذلك من أجل التحليل والمقارنة.(منال جادالله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف, 1997)

المجال البشري والجغرافي

اعتمدت الدراسة على هؤلاء الأشخاص الذين لم يبهرهم بريق الثقافات الغربية؛ وكان منهجهم في الحياة "الاتباع لا الابتداع" ساروا طريقهم متأسين برسول الله (صلى الله عليه وسلم) خير خلق الله الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وناضل من أجل إعلاء "لاإله إلا الله " قولا وتصديقاً. النموذج الأول لهذه الدراسة الشيخ عبد القادر الصوفي (إنجلترا) مؤسس طريقة المرابطين، وكان لدراسة نشأة الشيخ عبد القادر الصوفي الدينية؛ وكيفية أخذ الإذن ببدء مشيخة الطريق الصوفي بمختلف المجتمعات الأوروبية، تطلب الأمر دراسة شيخه الشيخ بن حبيب شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية بالمملكة المغربية (1973-1871 م) وهذا هو النموذج الثاني. والنموذج الثالث لهذه الدراسة الشيخ عبد الغني ميلارا شيخ وإمام مسجد إشبيلية ومريد للشيخ عبد القادر الصوفي منذ 1979 حتى وفاة الشيخ 2022. أكد هؤلاء الرجال أنهم وجدوا في الحضارة الغربية حيث جانبها الثقافي النظري تغييرًا مستمرًا؛ لا تثبت على رأي ولا تستقر على مبدأ وهي ظنية لا سبيل فيها إلى اليقين، وهي ذات آراء متضاربة ومتناقضة ومتعارضة. وأقرب تشبيه لذلك ما ذكره الشيخ محمد مصطفى المراغي: مثلها في هذا الجانب الثقافي مثل أزياء النساء تتبدل كل عام. (عبد الحليم محمود: العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، 1974، ص6)

اهتم البحث بدور رجال التصوف في المجتمع الغربي، ونظرة هؤلاء الرجال لأنفسهم، والجهود المبذولة من أجل تصحيح المفاهيم، ونشر دعوة الإسلام في المجتمع الغربي بصفة عامة والمجتمع الأندلسي بصفة خاصة. وقد تم اختيار المجتمع الأندلسي مجالاً جغرافياً لهذه الدراسة لما تتميز به المنطقة من مكانة فريدة حضارياً وتاريخياً وأثرياً، ولما تتمتع به نماذج الحضارة الإسلامية من تميز في التشيد والبناء والمعمار الذي كان وراء الجذب السياحي للمنطقة بصورة لم تشهدها باقي مدن أسبانيا.

المجال الزمني للدراسة

استغرقت الدراسة الميدانية عاماً وخمسة أشهر في الفترة من نوفمبر 2020 حتي مارس 2022 باستخدام منهج الملاحظ بالمشاركة، ومنهج دراسة الحالة، مع الاستعانة ببعض أدوات البحث الميداني: الملاحظة المباشرة والمقابلة، بهدف التركيز على السلوك الفردي في السياق الاجتماعي، أي التعرف على التجربة الصوفية الذاتية لبعض المشايخ والمريدين من خلال استطلاع الآراء والاتجاهات والقيم في المواقف المحيطة بهم، وكذلك التعرف على أوجه التشابه والاختلاف بين التجربة الصوفية في المجتمعات الغربية والمجتمعات الشرقية.

تساؤلات البحث:

- نماذج التصوف في طريقة المرابطين نماذج كسبية أم وهبية أم الاثنان معاً.
- اوجه التشابه والاختلاف بين التصوف في المجتمعات الغربية والشرقية.
- نظرة رجال التصوف الغربي لذاتهم.
- التصوف في المجتمع الغربي تصوف حركي ديناميكي أم تصوف ساكن إستاتيكي.

المنهج وأدوات البحث

حقق المنهج الأنثروبولوجيا التقليدي—الملاحظة بالمشاركة- نجاحاً ملحوظاً في دراسة الدين والمعتقدات الشعبية، وذلك لارتباطها ارتباطاً وثيقاً بالموروثات الشعبية التي هي أكثر ارتباطاً بالتنشئة الاجتماعية. إلا أن دراسة التجربة الصوفية بصفة خاصة بما عرف عنها من ذاتية التجربة وارتباطها الوثيق بتزكية النفس؛ فرض على الباحث المشاركة الفعلية في بعض الممارسات الصوفية من أجل تطبيق بعض الأساليب المنهجية ذاتياً. وعلى الرغم من اختلاف الأسلوب والمنهج في التجربة من فرد إلى آخر ومن طريقة لأخرى؛ فإن الهدف من التجربة واحد وهو "المعرفة"، ويتم الوصول إليها من خلال المراحل الثلاث؛ بدءً بمرحلة "التخلي" عندما يتخلص من الصفات المذمومة، ومرحلة "التحلي" عندما يكتسب الصفات المحمودة، ثم الانتهاء بالمرحلة الثالثة "التجلي" عندما يقذف الله في قلبه الأنوار. وبذلك يزداد لديه الشعور بإنكار الذات وتعظيم الوجود الإلهي. وهذا هو مفهوم الفناء عن الذات والبقاء بالله لدى الصوفية.

والملاحظ بالدراسة الميدانية ودراسة الحالة أن معظم هؤلاء المتصوفة –قبل البدء في الطريق- وكذلك خلال مراحل الطريق الأولى ينتابهم شعور قوي بالحاجة الملحة إلى اللجوء إلى طبيب نفسي يأخذ بيديهم ويساعدهم لمعرفة ما بداخلهم من أفكار وأحاسيس يصعب عليهم تحديدها وفهمها بمفردهم؛ وهي أقرب إلى القلق والضيق الشديد والحيرة في الأمر دون دراية بالسبب وراء ذلك. وهذا ما حدث بالفعل مع الشيخ عبد القادر الصوفي والشيخ عبد الغني وغيرهم من مريدي الطريق. وهذا ما أكده الصوفية من أهمية الشيخ في الطريق الصوفي؛ وأهميته في تربية وتنشئة المريد وتزكية النفس بالتخلص من الصفات المذمومة والتحلي بالصفات المحمودة.

وما أكده الباحثون أن المنهج العلمي الذي يدرس التصوف؛ لا يرى من التصوف إلا الشكل الخارجي ولا يستقرئ إلا المظهر الشكلي، وهذا في واقع الأمر أبعد ما يكون عن روح التصوف وجوهره؛ الذي هو أكثر ارتباطاً بالنفس والقلب والكشف والإلهام، وهذا ما عرف لدى الصوفية بالعلم الباطن أو العلم اللدني.

وبناء عليه كان على الباحث الأنثروبولوجي الاعتماد على المزاوجة بين الأساليب المنهجية الأنثروبولوجية والأساليب النفسية، "المنهج السيكوانثروبولوجي"؛ وذلك لخصوصية الممارسات الصوفية (الورد، الذكر، الإنشاد) وارتباطها الوثيق بالتأثير القلبي والروحي. واتفق معظم الصوفية على أهمية النفس وتدرجها في مراحل سبع؛ بدءً بالنفس الأمارة بالسوء ثم النفس اللوامة ثم النفس الملهمة ثم المطمئنة والراضية والمرضية والكاملة. وهذه المراحل لها ظواهر تنتاب المريد وهي ذوقية وجدانية؛ ينتقل فيها المريد واحدة تلو الأخرى بصفات وأحوال تختلف من مرحلة لأخرى؛ وفي الحقيقة لا يدرك حقيقة كل مرحلة وكيفية الترقي من مرحلة لأخرى إلا من خاض مثل هذه التجربة من المشايخ وأولياء الله الصالحين وبعض المريدين. كالقول الصوفي المعروف " من ذاق عرف ومن لم يذق فلا حرج إذا سلم واعترف".

طريقة المرابطين: النموذج الأول الشيخ عبد القادر الصوفي

أطلق اسم المرابطين على الجماعة نسبة للحقبة التي ازدهر فيها الإسلام في الأندلس. ونسبة إلى "المرابطين" بمدينة مراكش بالمملكة المغربية وقت (يوسف بن تسوفين) والمرابطين لدى المجتمع المغربي مسمى يمثل الرتبة الثانية بعد مكانة الأشراف آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. جماعة المرابطين تنتسب إلى الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية بالمغرب. كانت بداية إنشاء جماعة المرابطين رسمياً في أواخر

السبعينيات بإنجلترا وأسبانيا على يد الشيخ عبد القادر الصوفي (1929م–2022م) مؤسس طريقة المرابطين وعرف قبل الإسلام باسم "ايان دالس" اسكوتلاندي الأصل أشهر إسلامه في مسجد القرويين بفاس 1968م وكان في ذلك الوقت يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاماً. جاهد الشيخ عبد القادر الصوفي من أجل نشر التعالم الصوفية وتأسيس وبناء مساجد بمختلف البلدان الأوروبية والإشراف على بعض المساجد القائمة بالفعل كما هو في بعض المدن الأندلسية بأسبانيا. ومن أجل الحفاظ على النظام الإداري والديني داخل الجماعة يتولى الشيخ عبد القادر الصوفي تعيين أميراً للجماعة ومقدماً في كل مسجد من المساجد المختلفة لطريقة المرابطين.

وكان الشيخ عبد القادر الصوفي وراء الجهود التي بذلت ومازالت من أجل بناء وتأسيس مساجد إسلامية بمختلف البلدان الأوروبية وذلك بالإشراف على جمع التبرعات من ملوك ورؤساء الدول الإسلامية وقد تم تأسيس التالي:

1- مسجد نرويج إنجلترا.
2- مسجد غرناطة. أسبانيا
3- مسجد الإمام مالك بالمكسيك.
4- مسجد جمعة بجنوب إفريقيا.
5- مرحلة جمع تبرعات بناء مسجد إشبيلية بمدينة سيفيا. أسبانيا

أسس الشيخ عبد القادر الصوفي هذه المساجد وفي ذهنه نموذج عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، على أن يكون للجماعة أميراً وحوله مجموعة فقهاء يتدارسون الفقه والشريعة وحدود الشرع حتى لا يتم تجاوزها. مع الحرص الشديد على العلم واتباع الشريعة وترجمة أهم مؤلفات الفقه والسنة والتصوف. وإنشاء دار نشر خاصة بالجماعة.

وكان الشيخ عبد القادر في الأصل كاتباً مشهوراً. لذلك له قراءة ولديه كثير من المهتمين بقراءة ما يكتب. ومن أهم كتبه "كتاب الغرباء" Ian Dallas, The book of Strangers, printed in the United States of America, 1988, وهو أول ما كتب بعد إسلامه؛ وفضل أن يصدر باسمه قبل الإسلام وبه قصة تعرفه على الشيخ بن حبيب وفترة معايشته لجماعة الطريقة الحبيبية؛ لأنه حاول في هذا الكتاب مخاطبة الغرب بخطابهم من حيث اللغة والأسلوب بالخطاب الذي يفضلونه ويفهمونه؛ ويستطيع بذلك أن يرسل إليهم ما يريد من معلومات، ويجعلهم يقرأون لنفس الشخصية التي يحبونها ويريدن أن يقرأوا لها. وكان هدفه بهذا الأسلوب أن يعطيهم النصائح الإسلامية دون الخطاب الإسلامي الصريح، لأنه يعلم جيداً أنهم يحجمون عنه وعن كل من يكتب أو يتحدث عن الإسلام.

النظام المتبع في هذه المساجد أن يتولى أمير الجماعة القيام بالشعائر الدينية وخطبة الجمعة وإعطاء الدروس الدينية أسبوعياً إلى جانب مسئوليته للشؤون الإدارية من تنظيم شؤون الزاوية أو المسجد، توزيع الزكاة، توزيع إفطار رمضان، توزيع الأضحية، تنظيم رحلات الحج والعمرة إلى جانب جمع تبرعات من أجل إنشاء مساجد...وهكذا

يتولى مقدم الجماعة مسؤولية قراءة الديوان والذكر والعمارة (الذكر بالله حي الله حي الله حي) ثم اسم الصدر(آه آه آه) والهدف من الذكر والعمارة تفريغ كل ما بداخل الإنسان من مشاكل الدنيا التي تشغل العقل والقلب حتى يتمكن الإنسان من الاستماع للدرس الذى يعقب الذكر بسهولة وإمعان، وبذلك يتحقق التأثير في القلب مباشرة. ومن المعتاد أن لا تزيد مدة الدرس الذي يعقب الذكر من 15-20 دقيقة.

ويمكن لأمير الجماعة إن رأى فيمن هو أفضل منه من فقراء أو مريدي الجماعة في إلقاء الخطبة وإعطاء الدروس الدينية بالمسجد أن يستأذن شيخ الطريقة في طلب هذا الأمر؛ وبعد موافقة الشيخ تسند هذه المهام إلى من تم اختياره من بين مريدي الجماعة. وهذا ما تم بالفعل في مسجد إشبيلية "بسيفيا" إذ استأذن أمير الجماعة في إسناد هذه المهام إلى الشيخ عبد الغني ميلارا Abdel Gani Melara ولذلك انتقل من غرناطة إلى إشبيلية من أجل هذا الأمر منذ خمس سنوات وهو مكلف بها حتى وقتنا هذا. وهو النموذج الثالث لهذه الدراسة. ومن مهام شيخ المسجد إلى جانب إلقاء خطبة الجمعة والصلاة كل أسبوع، الرد على التساؤلات التي تواجه حديثي الإسلام، والتعريف بالدين الإسلامي لمن يرغب في اعتناقه. ومن مهام المسجد ايضاً إشهار إسلام كل من يلجأ إليه من أجل هذا الأمر، وتم تحديد يوم الثلاثاء من كل أسبوع من أجل دروس في تفسير القرآن الكريم وفي السيرة النبوية للرسول (ص). ونظرا لما طرأ على المجتمع والعالم أجمع من جائحة "كورونا" وما ترتب عليه من منع التجمعات وحذر التجوال لما يزيد عن عام تقريباً، أصبحت الدروس الدينية عبر الإنترنت منذ 2020 حتى نهاية هذه الدراسة. وللمسجد صفحة على الإنترنت نشطة في التعريف بأنشطة المسجد المختلفة (مشاركة المسلمين احتفالاتهم بأعيادهم الدينية)، والتوعية والرد على كافة الاستفسارات والأسئلة، وبث الدروس والخطب بثاً مباشراً لإتاحة الفرصة لتحقيق الاستفادة المرجوة لجميع المسلمين الأسبان أو الناطقين والمتحدثين باللغة الأسبانية عبر العالم. وهذا في حد ذاته يعد من أهم الأدوار التي ساهمت بها هذه الدروس الدينية للتنوير بالتعاليم الدينية فقهاً وشريعاً وطريقاً.

البيعة في الطريق تعطى من الشيخ مباشرة إلى الأمير والمقدم في الزوايا أو المساجد المختلفة حتى يتم التعاهد بينهما على القيام بالأدوار المنوطة بهم. ولم يسبق أن أعطى الشيخ بيعة أو عهدًا لأحد فقراء أو مريدي الطريقة باختلاف أماكنهم. ويمكن أن ينضم إلى الجماعة أو الطريقة مريدون يتم التزامهم بالمداومة على قراءة الأوراد والأذكار التي تفرض عليهم، وكذلك الالتزام بكل ما يطلبه الشيخ منهم. والمقولة الأكثر تداولا بين الشيخ والفقراء في الطريق: "من يريد أن يتصل بي عليه بالمداومة على قراءة الورد هذا هو اتصالكم بي"؛ والمقصود هنا الاعتماد في الطريق على الاتصال القلبي والروحي. والمقولة التي يدركها ويعرفها الجميع من أبناء الطريق وتم وراثتها من شيخ لآخر ويرددها كثيراً مريدو وفقراء الشيخ بن حبيب مؤسس هذه الطريقة: "من يريد حب الشيخ وزيادة محبته للشيخ عليه بقراءة الورد والمداومة عليه يومياً، وذلك هو اتصالكم بمشايخكم." ففي قراءة الورد سر حب الشيخ ومحبته من ناحية وحماية المريد وحفظه من ناحية أخرى. مما يؤكد أهمية الحب في الطريق للشيخ وللإخوان؛ وكذلك أهمية المداومة على الذكر والحضرة وقراءة أوراد الطريق والتي تقرأ في الغالب في جماعة.

النموذج الثاني الشيخ محمد بن الحبيب الشاذلي

-شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية الشاذلية هو العالم الشيخ محمد بن الحبيب بن الصديق الإدريسي الحسني الفاسي مولدا ومنشأ، والمكناسي مسكنا ومرقداً (1873-1971)م. الشاذلي طريقة، المالكي مذهبا. انحدر من عائلة مولاي على الشريف الإدريسي رضي الله عنه – دفين الصحراء المغربية.

حفظ القرآن الكريم. وانضم إلى جامع القرويين حوالى 1311 هـ الموافق 1891م وعن حياته العلمية: دامت مدة طلبه للعلم تسعة أعوام كاملة قضاها في جد واجتهاد وأدب. ولما نال إجازات علمية طلب منه أن يدرس في جامع القرويين الذي كان منارة علمية في العالم الإسلامي. درس الفقه والتفسير، ودرس الشمائل المحمدية من كتاب الشفا للقاضي عياض. ظل الشيخ بن حبيب على الجد والاجتهاد إلى أن أرسل إليه الشيخ العربي بن الهواري رسالة نصها التالى: (يجب عليك أن تبدأ الذكر من اليوم) وهكذا كان إعطاء عهد الطريق الصوفي آنذاك. وبظهور العارف بالله محمد بن على بمراكش قرر الشيخ بن حبيب مخاطبته بطلب لتجديد العهد معه. فأمره الشيخ بالقدوم إلى مراكش، وعندما دخل الشيخ بن حبيب على الشيخ محمد بن على قال له: دخلت علينا بالفرح والسرور. وقد قال الشيخ محمد العربي والله لا يأتيني إلا المقبول وأنا أقول والله لا يأتيني إلا المحبوب، أبشرك ببشارة عظيمة إنك عندنا في طائفتنا بمنزلة ابن عطاء الله من الطائفة الشاذلية، فكما أحيا الله الطريقة الشاذلية بابن عطاء الله؛ كذلك يحي الله طريقتنا المباركة بك.وقد حقق الله رجاءه فينا، فوالله ثم والله ما مررنا على مدينة ولا قرية إلا وشهد أهلها بوصول المدد إليهم وسريان الحياة في قلوبهم وذلك سر الإذن، وما جلس معنا فقير إلا وازداد علماً، ولا جلس معنا مريد في الطريقة إلا وقويت قريحته وعلت همته لطلب معرفة الله، ولا شيخ من مشايخ العصر إلا وازداد ذوقاً إلى ذوقه، وذلك كله من سر الإذن وبركته. قال ابن عطاء الله في حكمه من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت اليهم إشارته؛ والمأذون هو الذي يتكلم بالله ولله؛ ولذلك أثر كلامه في القلوب وانقاد إليه كل مخصوص ومحبوب. ثم بعد ذلك أمر الشيخ محمد بن على الشيخ بن حبيب بالدلالة على الله في فاس نيابة عنه ولقنه الاسم المفرد وأمره بالإكثار من ذكره. وظل الأمر حتى توفي الشيخ محمد بن على. وتجدد الإذن، إلا أنه كما ذكر" ظل يستحقر نفسه ويري أنه ليس أهلا لهذا المقام". حتى تكرر الإذن من مشايخه ومن المصطفى صلى الله عليه وسلم للبروز للخلق بالله ولله. وهكذا كان حال المشايخ الصادقين لا يظهرون للخلق إلا بعد إذن صريح من المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وفي سنة 1936م رأى الشيخ بن حبيب أن زاويته بفاس لم تعد تتسع للمريدين ففكر في إنشاء زاوية جديدة. ومنذ ذلك الحين اشترى بماله الخاص مقراً للزاوية الحبيبية بمكناس، وأصبحت هذه الزاوية كسابقتها بفاس مأوى لطلاب العلم ومركزا لتزكية النفوس. وكان الشيخ بن حبيب وراء النهضة العلمية في مكناس: بملاحظته لوجود عدد كبير من العاطلين فأشار على الملك محمد الخامس – رحمه الله – باستغلال هذه الطائفة واقترح عليه أن يحدث – كراسي علمية في جامع الزيتونة بمكناس– الدراسة وفق مراحل دراسية بالتناوب داخل الأقسام، فما كان من الملك محمد الخامس إلا أن أنشأ معهداً علمياً كبيراً تدرس فيه علوم الدين الحنيف واللغة العربية.

يذكر عن بعض فقراء الطريقة الحبيبية أنه في ذات يوم كان الشيخ بن حبيب جالسًا بينهم يفكر في أمر ما؛ فسأل قائلاً: ما هي أكثر البلاد الأوروبية أدباً وأخلاقاً ؟ فرد عليه أحد المريدين قائلاً: إنجلترا من أكثر البلاد تأدباً والتزاماً وأخلاقاً. وهنا دعا الشيخ بن حبيب ربه سراً أن يجعل الله له مريدين من هذه البلاد يهديهم للدين الإسلامي والطريق الصوفي حتى استجاب الله له. وأرسل إليه الشيخ عبد القادر الصوفي يبحث عنه من أجل أخذ الطريق، وظل مع الشيخ بن حبيب ما بين معايشة كاملة وما بين تردد عليه من حين لآخر مدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك أمره الشيخ أن يكون مقدماً للطريقة الحبيبية بإنجلترا مع المدوامة على الحضرة والأوراد وقراءة الصيغة الحبيبية للصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم كما تلقاها عن شيخه. وكان لرغبة الشيخ في نشر الطريقة الحبيبية بين هذه البلدان الأوروبية ما يعلمه جيدا عن هذه البلدان وما تتميز به من آداب وأخلاق هي في الحقيقة أشبه بالأخلاق الصوفية؛ وهم في حاجة فقط لمن ينير قلوبهم بنور الإسلام والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال الشهادة واتباع الشريعة ومعرفة قواعد ومناهج الطريق بالمداومة على الأوراد والأذكار. وهذا ما عبر عنه الغزالى في كتابه "ميزان العمل" إن الفضيلة يمكن أن تكتسب بالاعتياد والتعليم من خلال التنشئة والتربية، فالصبي يعوده أبوه على شيء بلا دراية منه بحقيقة ذلك الشيء فيعتاد القيام به ويشب عليه دون علم به. (أبي حامد الغزالى: ميزان العمل، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، 1963، ص 20) وهذا حال كثير من المجتمعات الأوروبية وما عبر عنه العالم محمد عبده عندما قال مقولته الشهيرة: ذهبت إلى الغرب وجدت الإسلام ولم أجد مسلمين، وذهبت إلى الشرق وجدت المسلمين ولم أجد الإسلام. والأمر الذي لا شك فيه ارتباط التصوف بالأخلاق والآداب. وذلك يتضح من التعريفات المختلفة والتي تؤكد أنه هو الأخلاق ذاتها. يقول سهل التستري: إن التصوف ليس رسماً ولا علماً ولكنه خلق. ويقول السري السقطي: التصوف تمام الأدب.(على سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي، الجزء الأول، 1962، ص 3). ويقول الكتاني: التصوف خلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء.ويقول الجنيد التصوف أن يميتك الحق عنك ويحيك به.(أبي القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، الطبعة الثانية، 1959، ص 138). ويقول الجيلاني التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق. (عبد القادر الجيلاني الحسني: الغنية لطالبي طريق الحق، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، 1956، ص 160).

ومن التعريفات المختلفة للتصوف يتضح انها تتضمن الجانبين: الجانب الأخلاقي؛ ما يطلق عليه الجانب الكسبي. والجانب المعرفي وهو الجانب الوهبي؛ وهو ما يطلق عليه ثمرة الطريق. والمعرفة لها مستويات ثلاثاً معرفة المسلم بتطبيق الشريعة وهي مرتبة الإسلام وتختلف عن معرفة المؤمن بوجود الإيمان في القلب وتصديقه بالعمل والتحلي بالحب والرحمة وهي مرتبة الإيمان، وتختلف عن معرفة المحسن وهو من يعبد الله كأنه يراه وإن لم يكن يراه يعلم أن الله يراه وهي مرتبة الإحسان. وكل مستوى من هذه المستويات له غايته وله وسائله ومنهجه وهذا المستوى الثالث مستوى الإحسان هو غاية وهدف المتصوفة. فالصوفية هم القوم المختارون من سائر البشر، ومن ثم هم الخاصة؛ إلا أن خصوصية التصوف لا تناقض ضرورته لكل فرد من أفراد المجتمع، خاصة في ظل الظروف التي يعيشها المجتمع من طغيان المادة والتلوث بالأفكار الغربية التي يغلب عليها المادة والتي تبعد كل البعد عن الطابع الإسلامي فكراً وسلوكاً. لذلك إغفال التصوف ودوره للفرد والمجتمع يعني إهمال جانب جوهري من جوانب الدين الإسلامي. (منال جادالله: المرجع السابق، 1997، ص148).

الطريق الصوفي ليس من الطرق التي يختارها الإنسان فيقرر السير فيها؛ بل هو في الحقيقة الذي يختار من يسير فيه. أنت في الطريق الصوفي فقيراً كنت أو مريدا أو محباً أو ضيفاً على الجماعة إعلم جيداً أنك مختار من الله عز وجل ودفعك دفعاً لهذا المكان. وهذه هي إرادة الله وعليك السعي نحو معرفة حياة هؤلاء المتصوفة ومعرفة مراحل حياتهم للوصول لهذه المكانة والتعلم من خبراتهم، وتجارب حياتهم التي على الرغم من اختلافها فإنها تتشابه في الأسس والقواعد التي تحكم هذه التجارب. المعرفة هي غايتهم وهي هدف الحياة التي جعلها الله شعورًا فطريًا داخل كل إنسان، وجعله يسعي من أجل الوصول إليها، وبقدر سعي الإنسان وإخلاصه وصدقه بقدر مساعدة الله له عز وجل، وبقدر كشف بعض من أسرار هذه الحياة. ولله الحكمة في اختياره للصالحين كما في الآية الكريمة "يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب" (سورة الشورى آية 13) وهذه حكمة تدل على أن الأمر كله بيد الله؛ أنت مختار من الله عز وجل، هناك من يختاره بالوراثة عن طريق أحد أفراد أسرته، وهناك من يختاره بحادث أليم يتم النجاة منه، وهناك من يختاره برسالة تصل إليه، وهناك من يختاره بورقة يجدها ملقاة على الأرض ويحاول أن يرفعها ويقرأ ما بها، ويجد الورقة بها "بسم الله الرحمن الرحيم" ويحتفظ بها بعد تعطيرها ووضعها في مكان مميز. ثم تأتي إليه بشرى منامية؛ فيرى في الرؤيا صوتًا يقول له: "كما رفعت اسمنا عن الطريق وعطرته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة. وهذا ما حدث لبشر بن الحارث أحد رجال التصوف.

وهناك من يجتبيه الله كلياً دون إرادة منه...وهؤلاء هم المجاذيب وهم من قيل عنهم إن لم تدركهم عنايته سبحانه وتعالى لساروا في حياتهم عبيداً لشهواتهم وماتوا في حال مقت وغضب الله. إلا أنهم تمتعوا برضاء الله عنهم وحبه لهم؛ مما جعلهم سبباً لهداية الكثيرين وإنارة الطريق لبعض الصالحين، وبذلك أكرمهم الله عز وجل بما جاء في إطار: "لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها". (عبد الحليم محمود : الشبلي، المرجع السابق، ص 28) ومن ثم يتضح أنه على الرغم من اختلاف الوسائل والأساليب المقدرة لكل متصوف مختار؛ فإن الهدف واحد هو الله. وكله عند الله مقدر بل الكون كله مقدر. اختارك الله لسر لديه وسر فيك؛ عليك معرفة السر الذي لديك وتحاول أن تكون كما يريدك الله وهذه دائرة معرفتك، وعليك أن تراقب دائماً ما يريده الله منك. ونذكر على سبيل المثال: إن أقامك الله في خدمة الآخرين عليك بالإخلاص فيها، أقامك في ذكر وعبادة، أقامك في خدمة الوالدين، أقامك في تعليم وتربية....وهكذا. عليك بالتسليم والإخلاص فيما يطلبه الله عز وجل منك. وهذا ما عرف عند الصوفية بأن "الصوفي ابن وقته" أي من واجب الوقت أن ينغمس وينهمك الصوفي تماماً فيما أقامه الله في ذلك الوقت.

وباختيار الله لك يجعلك تشعر بالخصوصية وفي ذات الوقت تشعر أن الله جعلك من المؤمنين الذين أصبحوا في دائرة الأمان. وهي مكانة كبيرة ومتميزة تتطلب منك التفكير في السعي نحو ما يرضي الله، وتقدير هذه المكانة. والبحث عما يريده الله منك وهذا ما قاله الشيخ عبد القادر الصوفي مؤسس طريقة المرابطين. كان يعمل أميناً بمكتبة من أكبر المكتبات بإنجلترا State University Library. وذكر أنه بسر القدر تقع في يده أوراق –يحاول أن يترجمها للغة الإنجليزية يجدها للإمام الجنيد ولأبي اليزيد بسطامي–:

تتحدث عن المعرفة وأنها هي الغاية والهدف من الحياة؛ والوصول إليها ليس بالعلم بل بالسعي نحوها وباختيار من الله لمن يسعى إليها. والمقصود من هذه العبارة: أنه على الرغم من السعي نحو المعرفة؛ فإن الأمر يتطلب اختيار الله لك؛ ليس كل من يسعى يصل إلى الحقيقة

والمعرفة. لذلك كان الشيخ عبد القادر الصوفي يؤكد دائما في كلامه أهمية اختيار الله لك. وأضاف قائلاً: إنه بعد قراءة هذه الأوراق والمفكرة التي وقعت في يده بالصدفة أو على حق التعبير بتدبير من الله عز وجل وقراءة كثير من المعلومات عن الإسلام، فإن كل هذه المعلومات كانت تزيده فكراً وقلقاً وحيرةً مع زيادة الرغبة الداخلية في الوصول إلى هذه المعرفة والسعي نحوها. إلى أن هداه الله إلى الإسلام بعد إشارات وبشارات. ومن بينها رؤيا منامية "رأى فيها رجلاً قوياً ضخماً منوراً، انتابه الخوف الشديد منه إلى أن تحدث إليه بلغة لا يعرفها ونادى عليه باسم لا يعرفه ولم يتذكره وبعدها شعر باطمئنان تجاه هذا الرجل ثم قال له: "الآن ابدأ ..كل شيء متوفر لديك للبدء" وفاق من هذه الرؤيا وهو يشعر بوجود الرجل الذي شاهده في الحجرة معه؛ وأخذ يبحث عنه ولكنه لم يره ولم يجده وبعدها شعر بارتياح وكأن الشيء الذي كان يشعر بصعوبته انتهى والأمر أصبح سهلا عليه. وإشارة أخرى شعر بها واضحة عندما كان جالساً في حديقة بيته؛ وجد رجلا لا يعرفه (أحد المجاذيب) طلب منه كوب ماء وعندما قدم له الكوب قال له: "المعرفة" نعم هي "المعرفة" وتعجب كثيراً لمعرفة الرجل بما يقلقه ويدور في ذهنه ويشغل تفكيره. وسأله الرجل هل تريد أن ترتاح؟ ودون انتظار إجابته أشار إليه بوضع السجود ونصحه بملامسة الرأس للأرض؛ وقال له هذا هو "الاستسلام" نعم "الاستسلام"؛ وهنا أدرك أن كل ما قرأه وكل ما تعلمه؛ وهو كاتب قصصي مشهور، مازال لايعرف شيئاً وشعر بالجهل الشديد والرغبة القوية في المعرفة. وبالسعي نحو المعرفة أدرك أن الطريق ليس بالقراءة والعلم بل بالمعايشة والتجربة. وكان في ذهنه ما قرأه –في المفكرة التي وجدها بالصدفة– عن تجربة الشيخ أبي الحسن الشاذلي مع شيخه عبد السلام بن مشيش بصحراء المغرب. هنا قرر السفر وترك الأهل والأصدقاء والوطن بحثا عن شيخ له من أجل المعرفة حتى وصل إلى الشيخ محمد بن حبيب بعد عناء البحث عن شيخ، والوصول إليه كان كما ذكر الشيخ بن حبيب :"كان اللقاء في ظروف خاصة تعتبر من البشائر الطيبة في الطريق"؛ وتتلخص في أن الوقت الذي ذهب إليه الشيخ عبد القادر للمكان المحدد حيث وجود الشيخ بن حبيب، يقوم أحد الموجودين بإبلاغه أن الشيخ غير موجود بل ذهب مسافراً، وفي الوقت الذي يقرر فيه –بعد شعوره بخيبة الأمل– العودة من حيث أتى، يجد نفسه يتلاقى مع الشيخ في الطريق وكأن الشيخ عاد من سفره بل عاد من أجله لاستقباله والذهاب به إلى الزاوية الحبيبية بمكناس بالمملكة المغربية.

Ian Dallas, The book of Strangers, printed in the United States of America, 1988, P.58

جلس الشيخ عبد القادر الصوفي بين الفقراء في مكناس؛ يتعلم ويتعرف على حياتهم ومعيشتهم؛ ويحاول أن يتعامل مع المريدين بآداب الطريق التي يتعلمها منهم بالمشاهدة والمعايشة؛ تعلم كيف يعيش هؤلاء المريدين–الفقراء لله– بدءًا من آداب المعاملة (تحية الشيخ وتحية الإخوان بعضها لبعض وطريقة الجلوس والقيام ومتى يتكلم المريد ومتى يصمت ومتى يمكن له أن يسأل وكيف يتعامل مع الشيخ) وكذلك آداب تناول الطعام وتوزيع النفحة؛ وهي الطعام الذي يوزع بعد الحضرة والذكر الجماعي. وكذلك تعلم الشيخ عبد القادر من معايشة المريدين بمكناس —على الرغم أنه لا يتكلم العربية– كثيرًا من آداب الطريق، وكذلك آداب ممارسة الأوراد والأذكار والحضرة الجماعية. وتعلم بالمعايشة وصحبة المريدين كثيراً من العادات التي لم يعرفها من قبل؛ وذكر في ذلك أهمية الحب في الله والخدمة بين الإخوان في الطريق. قائلاً: اعلم أنه كلما تزداد محبتك وخدمتك للإخوان كلما تزداد في اكتساب الأخلاق. وذلك يتفق والمقولة الصوفية الشهيرة

"خادم القوم سيدهم". ومن ملاحظته أن الفقراء في الطريق هم البعيدون تماماً عن الدنيا وهم دائماً في حال هدوء وسكينة، ومن يرافقهم يشعر بهدوء وأمان وسلام وطمأنين. (Ibid,P.104).

وأضاف الشيخ عبد القادر أنه أدرك تماماً أن حب الشيخ والفقراء أساس الطريق، وأن الحب في الله شرطٌ ضروريٌ من شروط الايمان: "لا تؤمنوا حتى تحابوا" و "لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما".(أبو طالب المكي: قوت القلوب، الجزء الثاني، دار صادر ،دون سنة النشر، ص 50). ومن هنا بدأ وجود الشيخ عبد القادر بين الإخوان، وإحساسه بهم يختلف عن ذي قبل. (Ian Dallas, Op.Cit, (, P.131) والأمر الذي لا شك فيه أن صحبة الأخيار ضرورة من ضرورات الطريق الصوفي. وكما يقول المشايخ في الطريق "محبة الأخيار تنور لك الأسرار، ولا تدرك الحكمة والقين إلا بصحبة الأخيار"، فالمرء على دين خليله كما قال النبي المختار، واصحب من لا يخفى عليه أقوالك وأفعالك وأحوالك واترك من يعجز عن دفع الضر عن نفسه واصحب من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. (علي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني: نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص363).

وذكر أن المتصوفة أوفر الناس حظاً بالاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاقه وقد جعل الله آية محبة العبد لربه متابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأكد ذلك في القرآن الكريم: قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.(سورة آل عمران آية31) وكذلك قال الله تعالى "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. (سورة الاحزاب آية 56) وليس أدل على ذلك من فضل محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) والاقتداء بسنته، وأنه الباب إلى الله، ولا سبيل إلى طريق في الدنيا أو الآخرة إلا بشفاعته صلى الله عليه وسلم. وهذه حقائق عرفها أولياء الله ومشايخ الصوفية من خصوصية الإلهام بصيغ خاصة للصلاة والسلام عليه، يتلقونها يقظة أو مناماً ثم تورث لمريديهم في الطريق جيلًا بعد جيل. ويشهد لكل طريقة صيغة على الرغم من اختلافها من حيث العبارات والتعبيرات فإن النور المحمدي واحد لكل هذه الطرق مهما تعددت أو اختلفت. وما يؤكد ما نذكره ضرورة تأمل صيغ الصلاة والسلام لمشايخ الصوفية على اختلاف مشاربهم؛ وبتأمل الصيغة الخاصة بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (1165- 1240م)، باسم "الصلاة الفيضية الكبرى على الحقيقة المحمدية العظمى".(ملحق رقم2) وقد تم العثور على هذه الصيغة الفريدة بمؤسسة محي الدين بن عربي بمدينة مرسيا Murcia. وقد أكد مدير هذا المركز "بابلو بينيتو" أهمية هذه الصلاة وتأثيرها القوى على من يداوم عليها. على الرغم أنه ليس على دين الإسلام. وكذلك الصيغة الخاصة بشيخ الطريقة الشاذلية الشيخ عبد السلام بن مشيش (1163-1227م) (ملحق رقم3) والصيغة الخاصة بالشيخ بن حبيب (1871-1973) (ملحق رقم 1) وبمتابعة ودراسة هذه الصيغ –وهي في الحقيقة في حاجة لدراسة متخصصة– ندرك أسرار وحدة المعنى وحقيقة انتساب الطرق جميعاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اختلاف الصياغة والعبارة لملائمتها للزمان والمكان. الأمر الذي يؤكد ارتباط الطرق الصوفية بالعلاقة القوية بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ظاهراً وباطناً.

ظل الشيخ عبد القادر الصوفي مقيماً لدى الشيخ بن حبيب بمكناس مريداً ملتزماً يومياً بأداء الفروض من صلاة الفجر وما يعقبها من أوراد وتلاوة القرآن الكريم صباحاً ومساءً. (Ian Dallas, Op.Cit,P.96) وملتزماً بما أعطاه الشيخ له من ذكر فردي؛ وهو ما قال عنه إنه هو أشبه "بروشتة الطبيب" يختلف من مريد لآخر كلٌ وما يحتاجه. و"ذكر جماعي" يوم الخميس من كل أسبوع، وهو قراءة ديوان الشيخ بن حبيب والحضرة أو ما يطلق عليه في المجتمع المغربي "العمارة ". وتعلم من شيخه أن مجالس الذكر هي "حدائق الجنة" وأن الفرق بين الذاكر والغافل كالفرق بين الحي والميت.(Ian Dallas, Op.Cit,P.99) والأمر الذي شغل بال الشيخ عبد القادر الصوفي ،كما ذكر صعوبة التركيز في الذكر "لا إله الا الله" وكذلك اسم الجلالة " الله الله الله " وجد صعوبة في كيفية تذوق الذكر أو كما ذكر كيفية الامتصاص والانهماك والاستغراق. وعرف أن العدو الحقيقي للإنسان هي النفس التي يُقضى عليها بكثرة الذكر، وبعد فترة وجيزة أخذ يتساءل بينه وبين نفسه أين النور الذي يقذف في القلب بالذكر؟ أين التغيير الذي سوف ينتابني بالمداومة على الذكر؟ وأضاف قائلاً إنه مازال لم يشعر بتغيير يمكن أن يعبر عنه أو يستطيع أن يقول إنه وصل إلى حقيقة شعور حلاوة الإيمان في القلب التي عبر عنها معظم الذاكرين (Ian Dallas, Op.Cit.P.104). وما زاد من حيرته أنه يري كل من حوله ممن يعرفهم –أصدقاءه القدامي– وهم في غفلة؛ إلا أنه لا يستطيع أن يقول لهم شيئاً، ولا يستطيع أن ينصح أحدًا منهم بترك الأفعال السيئة السابقة والالتزام معه في الطريق الجديد الذي بدأ في السير فيه؛ ويتساءل مع نفسه كيف أنصح غيري؟ وماذا أقول لهم؟ وأنا لم أفهم ما أنا فيه ولم أصل للحقيقة بعد. (Ian Dallas, Op.Cit,P.123). وزاد الأمر عليه صعوبة ما يراه حوله من حال بعض الفقراء الذين يتأثرون كثيرا ويبكون كثيرا؛ وفي الوقت ذاته يجد تأثره في أثناء الذكر مختلفاً تماماً عن هذه الأحوال التي حوله. وفي الوقت الذي تزداد حيرته ويتساءل في نفسه عن السبب في ذلك. يجد أحد الأولياء من الطريقة الحبيبية يجيب على أسئلته التي تدور في ذهنه قائلاً "إن الأمور الروحية ليست سهلة وكل شيء في بدايته يكون أصعب"، والطريق في حاجة إلى وقت وصبر، لذلك يجب عليك أن تتعلم أن تكون بين الآخرين من الفقراء وقتًا أطول وأن تداوم على الذكر الجماعي؛ وتحاول ألا تشعر بأحد، وتذكر الله كأنك بمفردك، أي تنعزل عنهم وأنت بينهم؛ وتعزل نفسك تماماً عن الجميع وعن الإحساس بوجودهم. وفهم أن البكاء في أثناء الذكر ليس بكاء النفس بل بكاء القلب وهو يساعد الإنسان على إزالة الحجاب عن القلب؛ لذلك هذا البكاء الذي ينتج عن الذكر أو السماع لتلاوة القرآن الكريم، قد يحدث لغير المسلمين؛ بل ولمن ليس لديهم معرفة باللغة العربية، أو فهم معاني آيات القرآن الكريم. ومن ثم حال هؤلاء هو هبة وعطاء من الله، وليس للإنسان يد فيه؛ وفي فضل الذكر قال له أحد الأولياء بالطريقة الحبيبية عن أبي ذر الغفاري: "إن وجودك في دائرة ذكر أفضل مائة مرة من أن تصلي وحدك أو تزور مريضًا أو تحضر آلاف الجنائز".وهذا هو أساس الطريق الصوفي بعد الحب في الله والمداومة على الذكر والعمل في جماعة.

(Ian Dallas, Op.Cit.P.111)

وهذا ما ذكر في وصف الشيخ بن حبيب أنه صورة العبد التام للرب الدائم، إذا تكلم تكلم بالله، وإذا كان جالساً في سكون تجد النَفَس الداخل والخارج منه يذكر "الله" وكأنك تسمع الله الله الله، فهو مرآة صافية تعكس وجود الرب والنور المحمدي في بشر. بلغ الشيخ بن حبيب من العمر ما يزيد عن المائة عام بصحة جيدة ونشاط وحيوية يتعجب له الجميع؛ لما يتمتع به من روحانيات عالية هي في الحقيقة

وراء هذا النشاط والصحة. وهو نموذج للصوفي الزاهد في كل أفعاله وأقواله لله عز وجل، يأكل من أجل الله، ينام من أجل الله، فهو يقوم بكل مهامه الدنيوية ليس من أجل إشباع حاجاته الذاتية بل يؤديها من منطلق عبوديته لله. وحاول الشيخ عبد القادر الصوفي خلال فترة تواجده عند الشيخ بن حبيب وبين الفقراء أن يسأل كثيراً كي يعرف ويفهم؛ ولكن لا أحد يستطيع أن يجيبه بما يريد من إجابات؛ وكلما حاول أن يسأل عن أمور في الطريق كانت الإجابة تتلخص في " الله "عليك بالتوجه إلى الله، وبذل الجهد في السعي من أجل الوصول للمعرفة بنفسك. السعي في الطريق ليس بالأمر السهل، وهو في حاجة للهمة والصبر وبذل الجهد والوقت. وبمرور الوقت تعلم الشيخ عبد القادر الصوفي أن لا أحد يستطيع أن يجيب على الأسئلة التي تدور في ذهنك؛ أنت في حاجة إلى الوصول للمعرفة بنفسك. وعلى الرغم من وحدة المعرفة ووحدة الحقيقة فإن لكل مريد في الطريق مسلكه الخاص واختباراته المختلفة عن الآخرين من إخوانه في نفس الطريقة؛ وهذا يؤكد خصوصية التجربة الصوفية لدى السالكين على الرغم من التشابه الكبير بينهم في الأحوال والمقامات. الطريق الصوفي هو المعراج إلى الله وطرقه علوية سماوية ليست سهلة هينة، تأتي القلب من وجهين "عين الجود" و"بذل المجهود". وفي هذا الطريق يعرج الصوفي في السلم الروحي من حال إلى آخر مترقياً من مقام إلى مقام. كل يسير حسب استعداده وسعيه وهمته للعروج. وبالسير في الطريق يواجه المريد الأحوال ليصل إلى المقامات. وما أكده مشايخ الصوفية أن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والمكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب. فالأحوال ظاهرها موهبة وباطنها كسب، والمقامات ظاهرها كسب وباطنها موهبة. (أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ص 228) وهذا ما أكده الشيخ عبد القادر الصوفي بالسير في الطريق؛ يبدأ الطريق باختيار من الله، ثم بتوجيه من الشيخ وسعي المريد بهمة في الطريق؛ واستعداده التام للتعلم والتلقي والتوجيه من أجل تزكية النفس للوصول إلى الحقيقة. والأمر ليس سهلا ولكن عليه أن يستمر في السعي بهمة وإخلاص وصبر إلى أن يفتح الله عز وجل عليه من أجل التذوق والمعرفة. وبمعايشة الإخوان في الطريق أدرك الشيخ عبد القادر أن الانهماك في الذكر ليس بالتركيز (العقلي والبصري) بل الأمر يحتاج إلى عدم التركيز ومحاولة أن ترى بالبصيرة وليس بالبصر، عليك في الذكر عدم التركيز مع الآخرين ومحاولة التركيز في كلمات الذكر مع غمض الأعين لعدم التشتيت والفوز بتأثير الذكر على القلب وهو الهدف الأسمى. وهنا تذكر مقولة أحد العارفين وهي أن الحقيقة والمعرفة تصل إليها بالعيون المغلقة وليس بالعيون المفتوحة. وما أكد ذلك ما ذكره مشايخ الصوفية للمريدين بتخيل اسم الجلالة "الله الله الله" مكتوباً أمامهم وهم مغمضو الأعين. وكما ذكر الشيخ بن حبيب أن الذكر الجماعي هو محاولة الخروج من الذات والتعلق بالله وهو ما عرف عند الصوفية بحال "الفناء" عن الذات والبقاء بالله. وهو أداة من أدوات الفقراء التي تمكنه من القدرة على الفوز بركعتين صلاة بخشوع. وقال في ذلك إن ركعتين من محب أفضل من ألف صلاة من دون حب.

وبعد معايشة الشيخ عبد القادر الصوفي للشيخ بن حبيب وفقراء الطريقة الحبيبية بزاوية مكناس. وبعد أن وجد ما فيه من أدب، وما على وجهه من قبول من حيث جذب الشباب حوله؛ وضع الشيخ بن حبيب يده على رأس الشيخ عبد القادر الصوفي ودعا له، وأمره بالعودة إلى إنجلترا من أجل تطبيق كل ما تعلمه من آداب وقواعد وعبادات وأوراد وأذكار بين الشباب وكل من حوله. وأخذ الشيخ عبد القادر الصوفي هذه المهمة على عاتقه وتعهد للشيخ بن حبيب أن يستمر في الطريق الصوفي ملتزماً بآداب الطريق وقواعده، ومجاهداً في

إعطاء وتعليم قواعد الطريق للشباب وفي إقامة الحضرات والذكر "العمارة". قال الشيخ عبد القادر " علمت أن هناك تحت سماء هذا العالم الذي نعيشه علماً أكثر نبلاً من ذلك الذي يفكر فيه ويسعى إليه العلماء والباحثون وهو " المعرفة" لذلك سوف أدفع بنفسي دفعاً للعمل من أجل الحصول عليها. ولو كانت المعرفة تشترى بالمال ما تأخرت لحظة في دفع كل ما أملك من أجلها.

(Ian Dallas Op.Cit.P.58)

بعد مرور ثمان سنوات من الاجتهاد في الطريق، جاءت للشيخ عبد القادر الصوفي دعوة من السفارة الليبية بإنجلترا لزيارة الشيخ محمد الفيتوري ببنغازي، وعندما ذهب إلى الشيخ الفيتوري أمره بقراءة الورد، ثم أمره بدخول "خلوة" لمدة ثلاثاً أيام وبعد خروجه قال له: "لا يد فوق يدك" وأمره بالمداومة على قراءة أوراد وأذكار الطريقة الحبيبية ثم قال له من الآن أصبحت "شيخ تربية" عليك باتباع الأمر مع الجميع من حولك من فقراء ومريدين. وهنا أدرك الشيخ عبد القادر الصوفي باليقين أن الله عز وجل عند اختياره لك يقدر لك كل شيء يقدر لك التوبة كما في الآية الكريمة: "ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم" (سورة التوبة آية 118). وقال الله تعالى: "من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. (سورة الكهف آية 17). كما يقدر لك التيسير في العثور على الشيخ والإخوان، ويبعث في قلبك محبة الإخوان في الطريق ومحبتهم لك، ويقدر لك التعلم واكتساب قواعد الطريق، ويقدر لك القبول من الآخر وحب الاتباع والاستماع الى أقوالك. وهذا هو في الحقيقة سر اختيار الله لك و"سر أخذ الإذن" من مشايخ الطريق الصوفي. وفي واقع الأمر ما أكد مشايخ الطريق ضرورة وأهمية أمر بقدر ما أكدوه من أخذ الإذن في الطريق الصوفي. وكما ذكر الصوفية من لا شيخ له شيخه الشيطان؛ كذلك يمكن لنا القول إن من لا إذن له بالطريق طريقه الشيطان. ونؤكد ذلك حيث إن سلسلة الطرق الصوفية هي في الحقيقة سلسلة متوارثه من شيخ لشيخ حتي الوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكل الطرق على اختلافها منتسبة للرسول صلى الله عليه وسلم.

والسر الثاني الذي تحدث عنه الشيخ عبد القادر الصوفي في كتابه يكمن في اختيار الله لك لتكون واحداً من هؤلاء الذين عليهم مسؤولية جاءوا من أجلها. كما في الحديث الشريف: رواه مسلم عن أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبي للغرباء). والحديث فيه تنبيه على أن نصرة الإسلام والقيام بأمره سوف يكون في حاجة إلى جهد الغرباء عن الأوطان بالجهاد والتقوى والصبر كما كان في أول أمره. فطوبى للغرباء أي طوبى للقائمين بأمره. ويرى الرجل الغربي في هذا الحديث دعوة صريحة للأخذ على عاتقه تصحيح ما أفسده الدهر، وإحياء وتجديد الايمان الذي تأثر وضعف بمرور الزمان.-أنارت الحضارة الإسلامية العالم في الوقت الذى كانت أوروبا في ظلام حالك، وكانت إيطاليا بعيدة تماماً عن العلم. بينما كانت الأندلس مرآة للحضارة العربية ومدينة العلم والعلماء في مختلف التخصصات؛-:الفلسفة والفلك والطب والرياضيات الجبر والهندسة والهندسة المعمارية..وغيرها.

أخذ الشيخ عبد القادر الصوفي على عاتقه ما جاء في الحديث وأطلق اسم "كتاب الغرباء" على الكتاب الذي قص فيه بشارات وإشارات إسلامه؛ وكيف التقى بشيخه الشيخ بن حبيب، وأخذ الطريق الصوفي عن الطريقة الحبيبية الشاذلية، وكيف أخذ عهد شيخ التربية على يد الشيخ محمد الفيتوري. عرف عن الشيخ عبد القادر الصوفي الشجاعة والقوة في الحق، واستطاع منذ بدايات مسيرته في

الطريق أن يقف كثيراً أمام تحديات المجتمع الغربي لرفضه للإسلام وممارسة شعائرهم؛ بل وتمكن من فرض ممارسة هذه الشعائر من صلاة وحضرة وذكر واحتفالات دينية بشهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى في شوارع البلدان الغربية أمام المارة دون خوف أو قلق. وكان ذلك في مدينة قرطبة ومدينة غرناطة بالمجتمع الأسباني كما سنوضح فيما بعد.

النموذج الثالث الشيخ عبد الغني ميلارا شيخ وإمام مسجد إشبيلية

ذكر الشيخ عبد الغني أنه: "نشأ في مدرسة رهبان وراهبات، وكان ذلك في وقت الحركة التي عرفت "بإلاهية التحرير" وهي تعتبر من الجهود الحميدة التي تنادي بها الكنيسة الكاثوليكية في السبعينيات؛ والتي تقوم على الاهتمام بالضعفاء والفقراء والمحتاجين وتحث على الاهتمام بحقوق الإنسان وغيرها من المباديء الحميدة التي تحقق للإنسان حياة كريمة آمنة مطمئنة، وعلى الرغم من ذلك كان دائما لديه الشعور بضرورة البحث عن الحقيقة ومحاولة الوصول إليها. وظل بداخله شعور قوي بعدم الارتياح ورفض التعالم الكاثوليكية؛ كأن شيئاً داخله يناديه بأن هناك حقيقة يجب عليك البحث عنها والوصول اليها.

وأضاف قائلاً إنه وقت الشباب: "توجد داخلنا مشاعر قلق وضيق وحيرة، ومن أجل تغير هذا الواقع نفكر في اللقاء مع بعضنا البعض وقضاء وقت أكثر مع الأصدقاء من أجل التخلص من هذه المشاعر، بالحديث إلى بعضنا البعض مع تناول المشروبات الروحية، وكأنها السبيل لإشباع الروح بالتحليق في آفاق تعلو وتتجاوز الواقع الذي نعيشه. وفي فترة السبعينيات كانت "حركة الهيبز" والهدف منها تجميع الشباب في هذه الحركة مع بعضهم البعض والخروج من دائرة مجتمعاتهم للحياة مع بعضهم؛ بدعوى أنهم في حاجة لحياة الصخب والموسيقى والغناء والفن. وهذه الحياة لا يقبلها ولا يعترف بها جيل الكبار من الأهل والآباء. ولذلك كثيراً ما يقرر هؤلاء الشباب السفر إلى مختلف دول أوروبا وأمريكا وأستراليا وغيرها من دول العالم من أجل السعي نحو تغيير الحال بأحوال أفضل؛ وكذلك من أجل اللقاء بشباب الهيبز بمختلف دول العالم من أجل معرفة تجارب جديدة والاستفادة من تجارب الآخرين. وفي هذه الفترة (السبعينيات) سافر بالفعل مجموعة من أسبانيا ومن بينهم صديق لي أثق فيه كثيرا، وبعد فترة من سفرهم أرسل إلى صديقي خطاباً وقال فيه: "إنه وجد الحقيقة وبها استطاع أن يتغلب على ما كان لديه من مشاعر القلق والحيرة والضيق وتوصل للحقيقة، ووجدها في الدين الإسلامي. الدين الإسلامي هو الحقيقة. ومنذ أن تسلمت هذه الرسالة وأنا أشعر براحة؛ لأنني أثق فيه وشعرت أنني وجدت الحقيقة بوجوده هو لها. وقص علي كيف كان لقاؤه بالشيخ والمجموعة التي معه. وكان لقاءً غريباً ويتلخص في التالى: " بينما هو وأصدقاؤه يتجولون في أحد شوارع لندن بإنجلترا وفي أثناء سيرهم ليلا استمعوا لصوت جذب اهتمامهم وإن كان بلغة لا يعرفونها؛ ولكنه صوت عذب ومريح وظلوا فترة يستمعون له، وكانوا يفضلون الدخول للمكان. ولكن قرروا أنه من الأفضل العودة في يوم آخر لنفس المكان في وقت مبكر عن هذا الليل، حتى يستطيعوا الاستئذان بالدخول دون قلق. وبالفعل عادوا في يوم آخر ورحبوا بهم، واستقبلوهم خير استقبال وشاركوا معهم فيما يذكرون؛ ومن بعدها تم الانضمام إلى المجموعة والالتزام معهم.

ذكر لي صديقي أن الذكر الذي كانوا يقولونه هو "الله حي الله حي الله حي" وأضاف أن قلوبهم تأثرت كثيراً بسماع هذه الكلمات وتأثرت أكثر بمحاولة المشاركة معهم في الذكر. وفي ذلك الوقت كنت أبلغ من العمر تسعة عشر عاماً تقريباً؛ اعتبر صغير السن وخاصة أنني يتيم الأب وأعيش مع أمي وجدتي ولا أستطيع أن أقرر السفر وأتركهما. إلا أنني قررت أن أتخصص في دراسة اللغة العربية لغة الإسلام. وفي الوقت نفسه قررت المداومة على مراسلة صديقي لمعرفة ما يمكن معرفته عن هذه الجماعة وعن الدين الإسلامي؛ واستمر هذا الأمر عامين تقريباً. وخلال هذه الفترة كان يرسل لي معلومات عن شيخ الطريقة وعن الإخوان في الطريق. وعن طريق صديقي عرفت أن الشيخ عبد القادر نشأ في مدينة "آير" في "اسكوتلاند". وكيف أنه كان يعمل في مجال الفن، وكان يكتب قصصاً سينمائية وكان محبا ومتعلقا بالفن والثقافة والأفلام، وذهب إلى إيطاليا وشارك في أفلام سينمائية لها صيت وباع كبير في تاريخ السينما. وهو من عائلة ثرية تمتلك الأراضي والعقارات. وبعد أن أخذ الطريق الصوفي وقرر خدمة الطريق ترك هذا العمل وظل يخدم في الطريق، ثم أبلغني أن الشيخ عبد القادر الصوفي قرر الحضور إلى قرطبة وغرناطة وفعلا جاء إلى أسبانيا ومعه الأصدقاء الثلاثاً الأسبان بعد أن تم إعلان إسلامهم؛ واستأجروا مكاناً للإقامة وظلوا به ثلاث سنوات تقريباً أو أكثر، وتم إحياء ليالي الذكر في هذا المكان. وفي هذه الفترة تمكنت من الحضور معهم والمداومة على قراءة الأوراد والذكر؛ وبحضور أحد مشايخ المملكة المغربية وهو الشيخ عبد الكبير من "تازة" ويطلق عليه اسم "عبد الكبير المنور" وكلمة "المنور" أطلقها عليه الشيخ عبد القادر الصوفي، لما عليه من نور. وذات مرة أمرني بقراءة الورد الخاص بسيدي محمد بن حبيب، وطلب مني أن أنشد قصائده بديوان "بغية المريدين" ثم أمسك بيدي وأعلن إسلامي بتلقيني الشهادة وفي أثناء تلقين الشهادة شعرت بشعور لن أستطيع أن أنساه أبداً وهو "انشراح في الصدر وكأن الصدر سوف يخرج من الجسد ومن بعدها انتابني شعور بسعادة غامرة لا أستطيع أن أصفه ولا أستطيع أن أنساه".

وأضاف الشيخ عبد الغني ميلارا قائلاً: "منذ ذلك الوقت 1979 –إشهار إسلامه– وأنا أشعر بأن الحقيقة في الإسلام، ولم أجد أي تعارض ما بين المسيحية والإسلام؛ بل وجدت داخلي تصديق قوي بأن الإسلام امتداد حقيقي لدين المسيحية، والإسلام هو الحقيقة". ومن قبل أنا كنت مؤمنا لأني مسيحي؛ وهذا دين الله والإسلام دين الله، وليس هناك تعارض بينهما، وهو استمرار للإيمان وهو الحقيقة. وتذكرت ونحن صغار كنا ندرس في المدارس معلومات خاطئة عن الإسلام وعن الرجل العابد العربي؛ إذ كانت الكتب التي ندرسها تصور الرجل العربي يصلي ويتعبد في الصحراء؛ وهو كأنه عابد للشمس ويسجد للشمس، وكذلك تصور الكتب أن الله في الإسلام إلهًا وليس ربًا، أو الله كما هو في المسيحية. ومنذ ذلك الوقت وأنا أبحث عن الحقيقة؛ الى أن أرسل إلى صديقي أن الشيخ عبد القادر الصوفي والمجموعة التي معه قرروا النزول إلى غرناطة وقرطبة وظلوا بها تقريبا ثلاث سنوات ونصف وأنا لا أستطيع السفر إليهم حتى سنة 1979 قررت السفر إلى قرطبة، ومكثت معهم وقرر الشيخ عبد القادر بعدها الانتقال إلى سيفيا وانتقلنا واستأجرنا مكانًا للجلوس فيه وزاوية للذكر ومداومة ليالى الحضرة وقراءة الأوراد. جلسنا في سيفيا ما يقرب من تسعة أشهر وبعدها انتقلنا مرة أخرى إلى غرناطة.

تأخر إسلامي رسمياً حقاً عن أصدقائي لأنني كنت أشعر بالخوف من المواجهة؛ لأني أعلم جيداً ما سوف أتعرض له من هجوم شديد ولوم واعتراض على ما فعلت. هنا في أسبانيا خاصة ولتاريخ العرب في هذه المنطقة لا يقبل من أحد تغير المسيحية واختيار الإسلام ديناً؛

والوصف أو الكلمة المعروفة لمن يبغي الإسلام ويترك المسيحية أنه "الجنون"، أي من يقوم بهذا الفعل هو من فقد عقله، وهذا ما تم وصفي به عندما تم إشهار إسلامي وسمع الكل بالخبر. وإن كان اعتناق الدين الإسلامي أمراً ليس بالهين والسهل في المجتمعات الغربية؛ فهو في المجتمع الأسباني أكثر صعوبة لتاريخ الإسلام بالمنطقة، وما تعرض له المسلمون من أساليب التعذيب. عرف عن المجتمع الأسباني سرعة انتشار الخبر، وانتقاله من فرد لآخر، وتبني الشائعات وكأنها حقائق. وبانتشار خبر إسلامي؛ بدأ الكل يصفني "بالجنون". وفي ذلك الوقت كنت أكثر اهتماماً بدراسة فقه اللغة وساعدني في هذا الأمر تعلم اللغة العربية بالاهتمام بكثرة القراءة والممارسة. ومنذ ذلك الحين وتغيرت نظرتي للرجل المغربي، كانت النظرة من قبل سيئة. وكانت الإذاعة التي تعرض للموسيقى العربية والأغاني العربية تقدم لنا بعض المعلومات الخاطئة عن المجتمع المغربي؛ وكان دائما الحديث عن الشعب المغربي –وهو الأقرب مكاناً للمجتمع الأسباني– على أنه شعب غريب في مجتمع ليس جميلاً ومختلف تماماً عن الأسبان. وظل الأمر كذلك إلى أن قررت زيارة مدينة تطوان ووجدت الشعب المغربي أقرب إلينا، وشعرت حقاً أنهم أهل لي وكأنهم عائلتي ومن بينهم أخي وعمي وجدي... وهكذا شعرت أن الثقافة واحدة وليس بيننا الاختلاف الذي كان يصور لنا من قبل. وأنا أقدر وأحترم مشايخنا في المجتمع المغربي؛ هم من نقرأ لهم ونتعلم منهم، وهم كما يقال من أكثر المشايخ تمسكاً بالفطرة الإسلامية والعادات والتقاليد، ونرى ذلك واضحاً في المنازل والبيوت والملابس للرجال والنساء والموسيقى والموشحات الدينية في كافة الاحتفالات التي مازالت على طابعها القديم التقليدي.(أمين بن عبد السلام الشعشوع: الموسيقي الأندلسية المغربية، الآلة (التاريخ –المفاهيم – النظرية – الموسيقية) المسارة، 2011، أسبانيا، ص 9)

والأمر المسلم به أن كل من يفكر في إشهار إسلامه في المجتمعات الغربية أكثر اتجاهاً نحو المجتمع المغربي حيث الاتفاق على المذهب – المالكي– والحاجة إلى مشايخ المجتمع المغربي لما عرف عنهم الأكثر تسامحاً ووسطية والأكثر تمسكاً بالفطرة الإسلامية وطابعها التقليدي. وما يؤكده التاريخ عن طريق العلماء والدارسين أن كثيرًا من مشايخ وأولياء الله الصالحين بالمجتمع المغربي هم من وفدوا من المجتمع الأندلسي واستقروا بالمجتمع المغربي.

والأمر الذي شهد له التاريخ أن بعد قرار الطرد النهائي الذي أقره ملك أسبانيا الملك فيليب الثالث مع سقوط مملكة غرناطة آخر معقل أندلسي في يد الملوك الكاثوليك سنة 897هـ/ 1492م سقطت الأندلس وهي تعج بالعلماء والأدباء والشعراء؛ وتوجه عدد كبير من الأندلسين إلى الرباط وفاس ومكناس وغيرها من المدن المغربية التي أنشأها الأندلسيون مثل شفشاون وتطوان. وقد تم نقل كم هائل من نفائس المخطوطات والكتب من الأندلس إلى فاس؛ وكانت فاس في هذه الفترة من أرقي المدن على صعيد العالم الإسلامي. وهذا إن دل على شئ إنما يدل على تاريخ وأصالة مشايخ وفقهاء المملكة المغربية، والذي يرجع إلى العهود الأولى للحضارة الإسلامية التي شهد لازدهارها العالم أجمع.

يحرص الشيخ عبد القادر الصوفي دائما على إظهار تقدير واحترام وإجلال مشايخه ومشايخ المغرب، اعترافاً بالجميل لما قدموه له فترة معايشته للطريقة الحبيبية مما جعله يرشد كل من يلجأ إليه بالسؤال أو المشورة إلى الذهاب إلى" القرويين" والذهاب إلى مشايخ المملكة المغربية، حيث وجود الإسلام أقرب إلى ما كان عليه قبل الحداثة، وقبل التأثيرات والمؤثرات الدخيلة عليه، والتي نتج عنها مذاهب وفرق

كثيرة مختلفة. إلا أن الإسلام في المملكة المغربية على مذهب الإمام مالك والمشايخ والفقهاء بعيداً كل البعد عن حب الفتاوى وإبداء الآراء الشخصية التي لا تستند إلى شريعة أو فقه. وهذا ما يذكره ويؤكده كثير من مسلمي المجتمع الغربي، ومن بينهم العالم حمزة يوسف مؤسس جامعة الزيتونة بكاليفونيا الولايات المتحدة الأمريكية في أكثر من تصريح ولقاء عبر الإنترنت: ذكر" أنه بعد أن طاف بالعديد من المدن الإسلامية على اختلافها وجد أن المملكة المغربية تعتبر من أكثر المدن تمسكاً بالتقاليد الإسلامية في الأبنية والمنازل والمآكل والملبس". والفقهاء والمشايخ بالمجتمع المغربي هم أكثر حرصاً وغيرة على إسلامهم وإيمانهم، فهم يعرفون من الحقائق الكثير، ويتكلمون بالقليل ويوجهون بالضروري قدر المستطاع وتستفيد أكثر بمجالستهم وصحبتهم. ولذلك حتى وقتنا هذا تعتبر المملكة المغربية منارة الإسلام للمجتمع الغربي.

ويفضل الشيخ عبد القادر الصوفي انتقاء الأماكن ذات التاريخ الإسلامي"الأندلسي" لإقامة احتفالات الطريقة. وكان لا يتردد في توجيه طلبات رسمية للسلطات الأسبانية من أجل إقامة الشعائر في هذه الأماكن.

بدأ الشيخ عبد القادر الصوفي في نشر دعوة طريقة المرابطين بالمجتمع الأندلسي؛ بعد أن مكث في إنجلترا قرابة ثلاث سنوات. واتجه قاصداً غرناطة لما تتميز به عن باقي مدن الأندلس فهي مدينة إسلامية كما يقال عنها "إسلامية حتى الحوائط" وهي آخر المدن التي خرج منها المسلمون؛ واستمروا بها ثلاثاً قرون بعد خروج المسلمين من مختلف مدن الأندلس، وكان بقاؤهم ليس مجرد بقاء ساكن؛ ولكن شهد التاريخ استمراراً لازدهار حضارتهم بغرناطة بعد سقوط الإسلام في المدن الأخرى. لذلك يشعر كل من يزور المدينة أنها تنبض بالنبض الإسلامي حتى الآن. وغرناطة بها "قصر الحمرا" وهو يعد من أهم المزارات الإسلامية الأثرية حتي وقتنا هذا.

وكان لمكانة غرناطة التاريخية والإسلامية والأثرية سبب وراء اختيار الشيخ عبد القادر الصوفي لمنطقة "حي البيازين" لإقامة مسجد خاص لطريقة المرابطين بغرناطة Mezquita Mayor de Granada Plaza san Nicolas وهي منطقة تعرف باسم "بيب رملا" Bib Rambla والاسم كما يتضح يعرف باللغة العربية "باب الرملاه" وهذه المنطقة من أهم المناطق حيث إنها تقع أمام قصر الحمرا من ناحية، ومن ناحية أخرى قريبة من مدرسة يوسف الأول، وتعتبر المدرسة مزاراً سياحياً؛ إذ مازال بها من الداخل مكان الصلاة والوضوء كما هو منذ أيام وجود المسلمين. ومنذ الثمانينيات وهذا المكان خصص للجماعة من أجل الصلاة وإقامة الذكر والحضرة أو كما يطلق عليها "العمارة"، لذلك شهدت شوارع غرناطة أمام المارة شعائر الصلاة وإقامة الحضرة الجماعية أمام الحاضرين. والأمر لا يقتصر على ذلك بل تم أخذ إذن وطلب رخصة من السلطات بالسماح للطريقة بإقامة حفلة بمناسبة الاحتفال بعيد الفطر في حدائق "البرتال" Jardines del Partal وهي حدائق داخل قصر الحمراء أمام بركة كبيرة من الماء. ومنذ الثمانينيات والجماعة تقيم شعائرها الدينية من قراءة أوراد وصلاة وذكر وحضرة وإنشاد بمختلف الأماكن وبأجمل الأماكن بغرناطة. وأضاف الشيخ عبد الغني قائلاً إن في أحد الاحتفالات أتت الجماعة ب"خروف" وتم ذبحه في المكان؛ وفي ذلك الوقت كان المكان مخصصاً لنا دون السماح لأحد غيرنا بالدخول. وأضاف الشيخ عبد الغني أنه في ذلك اليوم تحديداً شعر وكأنه في الجنة (وأقسم بذلك) أنه شعر بالجنة حقاً. وأضاف قائلاً إن هذه

الاحتفالات لا نستطيع أن ننساها مهما مر عليها الزمن. وأحيانا أخرى قرر الشيخ عبد القادر أخذ إذن من السلطات بالموافقة على إقامة الحضرة داخل إحدى حجرات قصر الحمرا؛ وتم بالفعل إرسال عدد من المقدمين لزيارة المكان الذي حددته السلطات لإقامة الحفل للتأكد من ملائمته لإقامة الحضرة، وكان المكان عبارة عن حجرة كبيرة من إحدى حجرات القصر وكان للحضرة في ذات اليوم واقع خاص جدا على الجميع.

واستمر الأمر هكذا الى أن تم شراء الأرض بذات المكان لبناء مسجد غرناطة عليه؛ وذلك بدعم من الرئيس القذافي بليبيا. وبعد أن تأخرت أعمال البناء والتشييد بسبب مشاكل وجود أثار في المنطقة، تم تمويل البناء من ملك الشارقة الشيخ سلطان القاسمي سنة 2003 وكان من بين شروط التمويل أن يتولى الخطب الدينية والدروس أحد مشايخ المملكة المغربية حتى تكون الخطب والدروس بعيدة تماماً عن السياسة. وقرر الشيخ عبد القادر اختيار أحد مشايخ مدينة "سوس" حيث الفطرة والبساطة والسلام والتسامح في مثل هذه المدن. ووقع الاختيار على الشيخ محمد القسبي. إلى أن جاء التمويل من ملك الشارقة بغرض البناء والتشييد وتم بالفعل بناء المسجد على درجة عالية من الجمال والجودة.

وكذلك اتجهت طريقة المرابطين إلى قرطبة لإحياء الشعائر الإسلامية من صلاة وذكر وحضرة في الشوارع أمام المارة، وكان من بين المريدين أخ أمريكي؛ أسلم بتركيا وتعلم بها رقصة "التنورة" وهو من المريدين المخلصين. وكان يعلم هذه الرقصة لمن يريد بأمر من الشيخ. كان الشيخ عبد القادر الصوفي يحرص على إقامة الشعائر في الشوارع من أجل إتاحة الفرصة لمن يرغب في الانضمام للجماعة ومن ناحية أخرى من أجل الشعور بالثقة فيما يفعله أعضاء الطريقة.

وهذا ما فعله الشيخ عبد القادر الصوفي باختياره مدينة "هويلبا" Huelva وهي أقرب مدينة أندلسية لإشبيلية؛ وبها مسجد إسلامي مميز لموقعه على سفح جبل بمنطقة "المونستير" Almonaster la Real. مما جعلها ذات مناظر خلابة. والجدير بالذكر أن أول ما يراه الزائر في اتجاهه لهذه المنطقة –من على بعد– هو "المسجد" مما جعلها مزاراً سياحياً دينياً مميزاً. ومن ثم كان لطريقة المرابطين أكثر من احتفال إسلامي في هذه المنطقة، وقد تم بالفعل التقاط بعض الصور الخاصة باحتفال طريقة المرابطين من قبل السلطات الأندلسية، والتي تم استخدامها للدعاية والإعلان في وقتنا هذا، على الرغم من قدم زمن هذه الصور. وهذا إن دل انما يدل على مكانة هذه الآثار الإسلامية، ومكانة طريقة المرابطين في المجتمع، ودورها في الجذب السياحي للأندلس.

ومن المعتاد أن يبدأ الاحتفال بعد صلاة العشاء؛ حيث يجلس الجميع لقراءة صورة الواقعة أو الملك ثم قراءة ورد الشيخ بن حبيب كاملا ثم السماع أي "إنشاد قصائد جماعية" وأحيانا يتم الإنشاد ونحن وقوف وفي أثناء السماع أو الإنشاد يقوم أحد مما لديه موهبة الموال الفردي يدخل بالموال بمفرده ثم عند الانتهاء من الموال نستمر بتكملة قراءة الديوان وأحيانا قبل الحضرة نقوم بقراءة أجزاء من كتاب عن قصة ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم والسيدة آمنة أم الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين بشرت بقدوم المصطفي (صلى الله عليه وسلم) ثم تبدأ الحضرة ...الله حي ...الله حي... وهكذا ثم يأتي شاب لقراءة القرآن ثم تنتهي الحضرة بدرس الشيخ عبد القادر.

وللجماعة نمط آخر للاحتفال وهو احتفال الجماعة "بالموسم" كما يطلق عليه وهو عيد ميلاد الشيخ عبد القادر الصوفي، ويحتفل به في شهر أكتوبر من كل عام. وكان الشيخ يقرر أحيانا الاحتفال به في إنجلترا أو المانيا وأحيانا في فرنسا وأحيانا في جنوب أفريقيا وفي أسبانيا وتم الاحتفال به في غرناطة أكثر من مرة، ولم يقام هذا الاحتفال إلا مرة واحدة في إشبيلية ولم تتكرر. وفي حالة الاحتفال بالموسم في مدينة معينة يقوم المرابطون الموجودون في المدينة التي بها الاحتفال بتنظيم كل شيء والاحتفال يحدد تقريبا من أسبوع إلى عشرة أيام ،كلها ليالى عبارة عن دروس في التصوف وليالى ذكر وإنشاد "مسمعين" وأحيانا المسمعين يكونون بدعوة للحضور مع تحمل نفقات الإقامة، ولهم راتب على هذا العمل. كما هو المعتاد في المجتمع المغربي. وأحيانا لتجنب دفع مبالغ باهظة في الاحتفال يتم الاعتماد على المسمعين من بين مريدي طريقة المرابطين بالقيام بقراءة الديوان جماعة بصوت مرتفع كما هو متبع لدى طريقة الشيخ بن حبيب تماماً .

وفي حالة الاحتفال ب"الموسم" في ألمانيا أو فرنسا أو جنوب أفريقيا؛ وهذا يتوقف على قرار الشيخ عبد القادر ورغبته في نشر الدعوة وإحياء الشعائر والاحتفالات الدينية في مختلف البلدان، بل وأكثرها هجوماً للإسلام. وبعد التنظيم عن طريق أحد المقيمين بهذا المكان يتم المشاركة في الاحتفال بالذهاب إلى المكان المقرر؛ وكل واحد يتحمل تذكرة الطيران والإقامة على نفقته، وأحيانا أخرى يتم مشاركة منا بدفع قدر من أموالنا الخاصة لأمير المرابطين في المكان المقرر الاحتفال فيه بالموسم مشاركة منا في هذه المناسبة، ويتم دفع المبلغ كل حسب مقدرته الخاصة، ومن لا يستطع فلا لوم عليه. هذه أمور شخصية لا أحد يجبر أحداً على شيء، وفي نظام الطريق لا أحد يضغط على أحد بفعل شيئ ولا أحد يلوم أحداً على عدم فعل شيء؛كل واختياره وكل قدر استطاعته. والاحتفال كان من قبل مرض الشيخ عبد القادر عبارة عن محاضرات في الصباح وليالى للذكر في المساء؛ وفي الغالب ليالى الذكر تكون ليلة الجمعة والسبت والأحد وتقريباً يكون عدد الحضور للمشاركة في الموسم تتراوح ما بين 350 فرداً أو أحيانا 400 وهكذا.

منهج طريقة المرابطين:

منهج الطريقة هو العبادة والعلم والتطبيق والسعي بصدق وإخلاص النية والتسليم أي الإستسلام، ومحاولة التخلي تماماً عن النفس والتعلق بالله في كل أمور الحياة. واختصاراً الهدف تحقيق تمام العبودية بالتقليل من الذات لتمام الربوبية بتعظيم الله عز وجل.

وفي منتصف الثمانينيات أمر الشيخ عبد القادر الصوفي بضرورة التركيز على قراءة ودراسة أهم الكتب في الشريعة والفقه والسيرة والاعتماد عليها في فهم قضايا المجتمع. وقرر أولا القرآن الكريم ثم " الموطأ" للإمام مالك والثالث "الشفا" للقاضي عياض؛ وشدد على ذلك الشيخ عبد القادر عندما وجد الشباب من حوله يميلون أكثر إلى الأمور الباطنية وبدأوا ينشغلون كثيرا بالأحوال والمقامات والخيال والغيبيات في الطريق. ولذلك قرر الشيخ ترك كل شيء لفترة من الوقت والتركيز والاهتمام بالعلم وقراءة ودراسة كتب الشريعة والفقه والحديث، وكذلك قراءة حكم ابن عطاء الله السكندري. عرف عن الشيخ عبد القادر أنه يسعى دائما إلى توسيع أفق المريدين أو الفقراء الذين حوله من أجل زيادة المعرفة وجعل المريد أكثر دراية بما يدور حوله من قضايا مجتمعية واهتمامات دولية. ومنذ ذلك الحين وبدأ الشيخ عبد الغني

يهتم بالترجمة للغة الإسبانية لهذه الكتب لمساعدة الآخرين في التعرف على أهم المراجع الإسلامية. ثم بعدها بفترة جاء إليه أحد المسؤولين من المملكة العربية السعودية يطلب منه الحضور إلى المدينة من أجل ترجمة القرآن الكريم للغة الأسبانية وسافر بالفعل من أجل هذا العمل.

وللشيخ عبد القادر الصوفي محاضرات مهمة ألقاها في إنجلترا وأمريكا في قضية "جذور التربية الإسلامية" يتكلم فيها عن أهمية عمل أهل المدينة واستند فيها إلى كتاب "الموطأ" للإمام مالك، وكان يذكر دائما أن العادات والسنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم هي عمل أهل المدينة، مستندا في ذلك إلى أن العمل ينقل من واحد إلى عشرة آلاف بينما الحديث ينقل من واحد لآخر عن عن عن. لذلك يرى عند الخلاف بين العمل والحديث لابد أن نستند إلى العمل.

كان مبدأ الشيخ عبد القادر الاهتمام بالعلم والدراسة والعمل بما نعلم؛ ومحاولة تنفيذ ذلك في قضايا مجتمعية كثيرة واستطاع تغيرها إلا أن "قضية الربا "وهي ليست فقط في فكرة "القروض" و"فائدة البنوك" كما يعتقد البعض بل رأى أنها في الأوراق المالية ذاتها؛ فهي "ربا" أيضا، وحاول بالفعل وبالعمل القضاء عليها وقام بضرب النقود بالذهب الخالص كما كانت أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليكون الجنيه يساوي قيمته الفعلية وليس مجرد ورقة لا قيمة لها، معتمداً في ذلك على الآية الصريحة: "وأحل الله البيع وحرم الربا".(سورة البقرة آية 275) ولكن هذا الأمر كلفه الكثير وتعرضت الجماعة لمعارضة شديدة من أصحاب البنوك والمعاملات المالية الذين قادوا حملة عنيفة ضده وضد جماعة المرابطين. وفي ذلك الوقت أخذ بفتوى شيخ الأزهر بمصر وعاد عن هذا الأمر لأنه في حاجة إلى قرارات دول حتى يمكن تنفيذه واقتصاديات عالم.

ويأخذ الشيخ عبد القادر الصوفي على مشايخ المجتمعات العربية أنهم أكثر انغلاقا على ذاتهم، وأقل تطلعاً إلى ما يدور حولهم من مشاكل وقضايا مختلفة عن مجتمعاتهم، ويقول إن على هؤلاء المشايخ أن يسعوا للخروج من دائرة مجتمعاتهم لرؤية ومعرفة المجتمعات الأخرى؛ قال الله تعالى: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.(سورة الحجرات آية 13). لذلك كان الشيخ عبد القادر أكثر حرصاً على السفر لمختلف البلدان من ناحية، ومن ناحية أخرى على القراءة والعلم والعمل بتطبيق ما علمنا؛ ولتحقيق هذا الهدف قرر ترجمة أهم الكتب العربية الإسلامية إلى الإنجليزية وكذلك إلى الأسبانية. وأسس للمرابطين "دار نشر" في كل من إنجلترا وغرناطة وجنوب أفريقيا. ونتج عن وجود دار نشر خاصة بطريقة المرابطين إتاحة الفرصة للجميع بالتأليف والترجمة.

ومن الجهود التي بذلت من أجل العلم والفائدة العلمية ما قرره الشيخ عبد القادر عندما علم بوجود مخطوط ذي أهمية بزاوية مكناس وغير مصرح لخروجه، أمر في الحال إسناد مهمة تصويره إلى أحد المصورين المتخصصين وهو "عبد العظيم ساندرز" من كبار مصوري المشاهير في إنجلترا آن ذاك، ثم بعد تصويره للمخطوط تم إعطاؤه لأحد المشايخ من فقراء الشيخ بن حبيب حتى يعيد كتابته باللغة العربية بصورة أكثر وضوحاً من الصورة المصورة، ثم أمر بترجمته إلى اللغة الإنجليزية عن طريق إحدي المريدات –التي تخصصت في الترجمة إلى اللغة الإنجليزية–حتى يتسنى للجميع الاستفادة من الكتب والمخطوطات النادرة. وتم بالفعل طباعته عن طريق مطابع الجماعة بإنجلترا.

ومن أقوال الشيخ بن حبيب: نحن نداوم على الأذكار والأوراد يومياً وكل هدفنا مع الله أن نستطيع أن نصلي ركعتين بخشوع لله عز وجل. وذلك تمام العبودية. والاعتراف بالجهل والفقر والضعف والعجز، وأدرك أن الله هو الغني العالم والقادر والقوي والعظيم. ذكر الشيخ الجمل أن الاعتكاف مخ التجريد وسبيلك للوصول للعبودية، وذلك بالصلاة والصوم وقيام الليل والعزلة والصمت وعدم التدبير والاختيار والرضا والقناعة واليقظة والزهد. وبذلك تتحقق العبودية التي كلها "جلال" وهي مفتاح الفتوحات ومفتاح "الجمال". (على بن عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 39).

من أقوال الشيخ بن حبيب"اتركوا هذه المفاهيم القديمة التي تقول إن الزهد هو لبس المرقع؛ الزاهد هو من تكون الأشياء الدنيوية في يده وليس في قلبه. لذلك عليك بلبس أفضل الثياب وأجملها من الجلابيب الفاخرة قدر الاستطاعة؛ حتى يرى الناس فضل الله عليك، ويرى أفضل ما في التصوف". وهذا كان حال الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وما عرف عن الشيخ عبد القادر الصوفي أنه منذ أن كان شاباً وهو لايرتدي إلا الماركات الفاخرة، ولا يعرف إلا أن يرتدي أفخر الملابس ذات الجودة الرفيعة، ولا يرضى إلا بكل شيء جميل. وظل هذا حاله مع الله عز وجل.

-وشرح هذا الأمر بصورة واضحة الشيخ "الجمل" بقوله: "إن سنة الله في خواص عباده من الأولياء والصالحين ينزع الدنيا من أيديهم وقلوبهم حتى تمتليء قلوبهم نورا ويقينا وعلما، ولولا الفقر من الدنيا ما استقام لنا شيء. ولكن لما أراد الله بنا خيراً أمدنا بالفقر منها، ثم بعد ذلك إذا ردها إلينا لا تضرنا ولو كان المال والرزق فيها مثل الجبال، لا يزيدنا هذا الأمر إلا خيراً وعوناً على ما في أيدينا لأنها لا تلج قلوبنا أبدا؛ التي امتلئت فقط علماً وحكمة وختم عليها بخاتم التوحيد المجرد في القلب المفرد لا ينفك ختمها أبدا''. وأضاف قائلاً: "لو كانت الدنيا في أيدينا أولا ما استقام لنا شيء من ذلك؛ لأن القلب إذا كان فارغا لا يمتليء إلا بما في اليد وهي الدنيا، وإذا تمكنت الدنيا من القلب لا يدخل عليها شيء من أسرار الأولياء والصالحين أبداً.(علي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 299) وذكر الشيخ عبد الغني أن الزاهد الحق هو من يستوي عنده الذهب والصفيح أو الذهب والتراب؛ وهذا الأمر ليس بالسهل. وفي شرح ذلك قال إن الله سبحانه وتعالى: يحب الأطفال لثلاثاً أسباب السبب الأول: لأن الطفل يبكي بسهولة فهو"طيب القلب" وفي الوقت ذاته يصفي وينسى بسهولة كل من تسبب في بكائه؛ فالطفل سهل "التسامح" وهذا هو السبب الثاني. والسبب الثالث: أن الطفل لا يتعلق بالأشياء لقيمتها المادية لأنه لا يدركها ولا يدرك حقيقتها، وهذا هو "الزهد الحقيقي". لذلك لا يعرف الطفل الفرق بين سبيكة الذهب وقطعة الصفيح. وهذه هي أهم ثلاثاً أشياء في الطريق: صفاء القلب والتسامح والزهد.

وأضاف قائلاً: إنه على الإنسان أن يكون يقظاً دائما؛ وأن يحاول مع نفسه كل فترة بتحطيم صنم من الأصنام التي في حياته، والمقصود بذلك التخلص من العيوب التي تتحكم في الإنسان، والتي تجعله يشعر بأهميتها ولا يستطيع التخلص منها. وبذلك عليه التخلص من هذه الأصنام واحداً وراء الآخر حتى ينقي النفس تماماً. وبذلك يريدك الله من الصالحين الذين جاهدوا في الطريق من أجل تنقية القلب وتزكية النفس بالترقي في مراتب النفس التي عرفها الصوفية؛ وهي الأمارة بالسوء واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة.

اعتمدت في طريقي على ما تلقيته من مشايخنا الشيخ عبد القادر الصوفي عن شيخه الشيخ محمد بن حبيب بالمداومة على قراءة الأوراد والديوان " بغية المريدين " والصلاة والسلام على الرسول صلي الله عليه وسلم "كنز الحقائق": وهي الصيغة التي تلقاه الشيخ بن حبيب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة يقظة أو مناماً.(ملحق رقم1) وحاولت في الطريق أن أطور ما أخذته عن الشيخ عبد القادر الصوفي، مع تحمل مسؤولية الدعوة واتباع ما دلنا عليه في الطريق من خلال توجيهاته ودروسه التي هي في الحقيقة كنوز. اعتمدت في الخطب والدروس الدينية على أهم الكتب وهي: "إيقاظ الهمم" و"شرح الحكم" وكتابات الشيخ "محمد على رمضان البوطي" و"شرح الحكم لأحمد زروق" و"لابن عجيبة" واعتمدت كثيراً على حكم ابن عطاء الله السكندري لما فيها من أسرار كثيرة. ومن خلال تدارس هذه الكتب وشرحها؛ أحاول أن أسير على النهج ذاته من التحدث عن –التصوف– الفن والذوق والإشارة ببساطة وسهولة حتى لا يصعب على أحد فهم ما أقول. وهذا هو سر الإذن في الطريق. وفي الحقيقة في أثناء مسيرتي في الطريق، وأشعر أنني من المفضلين عند الشيخ عبد القادر، وممن أخذوا منه حظاً كبيراً ظاهراً وباطناً. وكذلك من شيخه الشيخ بن حبيب، على الرغم أنني لم ألتقي به ولكن أشعر بهذا الشعور من خلال اللقاء بفقراء الطريق من أحبابه. سبق وأعطاني الشيخ عبد القادر بشارة بقوله لي " في قرآنك سر" عندما قدمت له قرآن كريم هدية، ومنذ هذه البشارة ولدي إحساس قوي بالفتح الرباني، وأن المستقبل لدي سوف يكون أفضل بكثير من الماضي. وأحمد لله كثيراً على حال الرضا بما قسمه الله لي، وأشكره على هذه المكانة إذ لا مكانة أكبر وأجل من مكانة تعليم الدين أو تعلم الدين وتعليمه للآخرين.

سبق للشيخ عبد القادر أن إذن لمجموعة معينة من مريدي المرابطين وأنا واحد منهم بإعطاء الورد لبعض من يتردد على الجماعة ونجد فيه الصلاح والخير؛ على أن نوصي بالإخلاص في قراءته والمداومة عليه. وفي أكثر من مرة قال لنا الشيخ: "من منكم يرى في أحد الصالحين صدق الإيمان والإخلاص يمكنكم إعطاؤه الورد لقراءته ومداومة الالتزام به. اعتمدت في أسلوب الهداية للإسلام لكل من يأتي إلي راغباً في معرفة الدين الإسلامي على أمرين: الأول شرح المفاهيم الأساسية للدين، وأنه ليس تحويل من مسيحية إلى اسلام بل هو تطور طبيعي وامتداد للوصول إلى الحقيقة، والإسلام هو دين الله. والأمر الثاني أطلب من كل من يحاول أن يعرف أكثر عن الإسلام أن يراقب القلب؛ وفي حالة وجود مشاعر قلبية جديدة تنتابه، عليه بالرجوع إلي مرة أخرى، ومن لا يتغير قلبه يبقى على ما عليه ولا يأتي إلي مرة أخرى.

عقيدتي في الدعوة للإسلام مستنداً إلى هذه الآيات: "من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً"(الكهف17). وكذلك " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"(القصص 56). وأتفق ورأي أحمد زروق: "انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال"، "فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان". واستند في ذلك لعدم وجود مشايخ تربية في ذلك الوقت وكثر وجود المبطلين المدعين الذين هم أكثر تعلقاً بالدنيا. (سيدي أحمد بن المبارك: كتاب الإبريز، من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء – المغرب. 1428هج 2007م. ص: 309 –3010). ولذلك دعا أحمد زروق إلى التمسك بالقواعد

الأساسية في الطريق وهي: تقوى الله في السر والعلانية، اتباع السنة في الأقوال والأفعال، الإعراض عن الخلق والرضا عن الله في القليل والكثير. (أحمد زروق: قواعد التصوف، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، 1976، ص116).

وأضاف الشيخ عبد الغني أن هذا وقت الالتزام بالحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "قلت يارسول الله ما النجاة ؟" قال "أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك" (حديث صحيح) رواه الترمذي وأحمد.وهذا الحديث استند إليه متصوفو المجتمع المغربي منذ أكثر من ثلاثين عاماً في أثناء الدراسة الميدانية للتصوف؛ وفي ذلك الوقت شبه مشايخ المجتمع المغرب التصوف ب"الغروب"و "الانكسار". قال حسن البصري التصوف الآن: كان حقيقة بلا صورة وأصبح صورة بلا حقيقة. التصوف كان موجوداً وقت الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة؛ ولم يكن له اسم ويجب علينا الالتزام بما دل عليه كل العارفين والمشايخ والأولياء، وكان التصوف من قبل حيث يذهب الناس للزوايا والمساجد وبيوت الله لحفظ هذا العلم، وكان المشايخ يقومون بدور التعليم والحفظ والتربية. وأضاف الشيخ عبد الغني ميلارا قائلاً: إذا لم يوجد شيخ التربية لا داعي للطرق بالمفهوم السابق. لأن الأمر في ذلك الوقت صعب، وخاصة هنا في المجتمعات الأوروبية، كل مجتمع يختلف عن المجتمع الآخر من حيث المشاكل وقبول الآخر. والأمر اختلف تماماً عما هو في المجتمع المصري حيث الطرق الصوفية باختلافها الشاذلية والقادرية والرضوانية والرفاعية ...وغيرها. من حيث وجود مشايخ التربية؛ ودورهم في تزكية النفس وتوجيه المريد بالعروج في السلم الروحي للوصول إلى النفس المطمئنة التي هي هدف المريد. (منال جادالله: التصوف في مصر والمغرب)

الحمد لله قلبي وعقلي في رضا تام عن الإسلام وعن الطريق الذي قدره لي الله مع الشيخ عبد القادر، ودائما أشكر الله على نعمة الإسلام وعلى الشيخ ومشايخي في الطريق. وإن كنت دائما أشعر بالتقصير نحو القيام بالواجب الذي كان يجب علي القيام به. والذي أعتقد أنه في عدم الرضا وعدم التوكل الحقيقي على الله عز وجل. على الرغم من نصيحة الشيخ لي دائما " بالرضى بما قسمه الله لك " وعليك بعدم القلق على الرزق فهو في يد الله؛ وكان دائما يقول لي العبرة ليست في الكثرة بل في القلة، ودائماً القليل ذو بركة أفضل وأكثر فائدة من الكثير. وبمرور الوقت والسنين تأكدت تماماً من صحة أقوال الشيخ وحكمته في التعامل مع المريدين؛ والأمر لا يخلو من عدم استطاعة بعض المريدين لطاعة الشيخ. وفي أثناء مسيرتنا في الطريق نجد كثيراً من المريدين الذين وقعوا في مشاكل مع الشيخ، ومنهم من ذهب وترك الجماعة بالفعل. وبعد اللقاء بهم بعد فترة طويلة من الوقت أجد معظمهم ممن نعرفهم جيداً، وكأنه واقفاً في مكانه دون أي تقدم خطوة للأمام أو أي تغير للأفضل. لذلك أحمد الله كثيراً على ما أنا عليه من التزام ومجاهدة وإخلاص في طريق الله.

-حكمة الله تعالى أن "يخرج الأشياء من أضدادها" يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي. الغني بعد الفقر والعزة بعد الذل والصحة بعد المرض والعلم بعد الجهل .... وهكذا. لذلك إذا أردت أن ترد إليك المعاني عليك أن تكثر من الحسيات. وذكر الشيخ الجمل عن ذاته أنه عندما أكثر من أفعال الحس وداوم عليها أكثر من ثلاثاً أعوام فما شعر إلا والمعاني تقبل عليه وتحيط به من كل جانب حتى

استغرق فيها تماماً، ووجد نفسه في بحر لا ساحل له، لا يعلم حده إلا الله سبحانه الحكيم العليم. (علي بن عبد الرحمن: المرجع السابق، ص126).

آداب طريقة المرابطين

نظام الطريق لا أحد يضغط على أحد بفعل شيء، ولا أحد يلوم أحداً لعدم فعل شيء. نحن في الطريق لا نحكم كثيرا على بعضنا البعض بل على العكس؛ نري أن نظرتنا للآخر هي في الحقيقة متعلقة بأنفسنا؛ الإنسان مرآة الإنسان. ولابد أن ندرك تماماً ونتعامل مع الإنسان معاملة الرحمة والتسامح. وإذا طلبنا من ربنا المغفرة والرحمة، يجب علينا أولا أن نتصف بهذه الصفات مع العباد حتى تتحقق معنا. بالإضافة إلى أن مشاعر الضغينة والكره تسبب أذى كبيرًا للقلب والنفس، وعلينا التخلص منها لإتاحة الفرصة لإنارة القلب بالنور. وكل منا ولديه قدر ولو قليل من صفات الطمع والبخل والغيرة وغيرها من المشاعر، ولو لم تكن لدينا لا نستطيع أن ندرك ونعرف وجودها عند الآخرين. لذلك علينا كما ذكر الشيخ عبد القادر الصوفي العمل على تنقية القلب والنفس من كل هذه السموم والضغائن؛ تصفية القلب وتنقية النفس بتفتيتها وإعادة بنائها من جديد. ونادى بالانشغال بالله وكثرة الاستغفار والدعاء لله، وقال إن الدعاء من أفضل العبادات، والله يحب أن يعرف ما يريده العبد، وعلينا ترك المشاكل وترك الاهتمام بالشؤون الدنيوية والتي عبر عنها ب"الحقائب"، إذ دعا إلى عدم "حمل الحقائب" وعدم الاهتمام بكل ما هو مقدر وفي يد الله ولله أقداره، بل عليك الاهتمام بأقوالك وأفعالك التي أنت مطالب بها وعليك بذكر "ورد السهل" وهو سهل وبسيط " الله معي، والله ناظر إلى، الله شاهد علي". يجب أن تتحقق من معاني هذه الكلمات وتشعر بوجود الله معك ناظراً وشاهداً. ثم عليك أن تفكر جيداً أن ما تريده لنفسك يجب أن تفعله مع الآخرن؛ إذا أردت العون من الله عليك بمعاونة عباده، تريد أن يغفر الله لك عليك بالتسامح مع عباده، تريد أن يرحمك الله ارحم عباده.. وهكذا. ومن أقول الشيخ عبد القادر الصوفي التي يذكرها كثيرا في دروسه "من عرف نفسه عرف ربه " من حيث الضعف والفقر والذل والجهل..وهكذا. وكان يفضل الرجوع إلى صلاة الاستخارة في الأمور التي بها شك. نذكر على سبيل المثال: السفر، الزواج، العمل، التجارة.....وهكذا

ومن الأقوال المأثورة لدى الشيخ عبد القادر الصوفي: "خطأ الشيخ أفضل من صواب المريد" "المريد في يد الشيخ كالميت في يد المغسل". الصبر كالصبر وكان يشرحها بقول: إن الصبر دواء مر ثماره حلوة.

الشيخ عبد القادر الصوفي "جلالي" اذا نظرت إليه تخشى أن تتحدث معه أو تنظر إليه. فهو قوي الشخصية وشجاع في قول الحق والدفاع عنه. وعلى الرغم من ذلك إذا اقتربت منه تجده طيب القلب للغاية. لذلك استطاع الشيخ أن يجمع حوله أكثر من خمسمائة مريد، ولديه مقدمون وأمراء للجماعة في مختلف بلدان العالم. ومن بين تلاميذ الشيخ عبد القادر الصوفي نساء لهن شأن ومكانه كبيرة، مثل "عائشة بيولي" وكان لها دور كبير في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ويساعدها في هذا الأمر زوجها الشيخ عبد الحق بيولي، وهما من المريدين النشطاء في الطريق ولهم باع طويل في إعطاء الدروس باللغة الانجليزية. وكذلك "ربيعة" وهي إنجليزية الأصل مقيمة بإنجلترا ولديها دروس على الإنترنت، ودروسها لها تأثير كبير على الرجال والنساء. وكثيراً ما تشارك في إعطاء الدروس في إنجلترا وجنوب أفريقيا.

ومن عادة الشيخ في تربية المريد استخدام الأمر غير المباشر، وفي ذلك يرسل ما يريد أن يأمر به المريد عن طريق المقدم أو مريد آخر من الجماعة.... وهكذا. وهو بذلك يبغي إعطاء حرية للمريد للاختيار، وفي حالة عدم رغبة المريد في الموافقة على أوامر الشيخ يكون الأمر أخف وطأً، وإن كان الشيخ في هذه الأمور أكثر حزماً، ودائماً لديه مقولة: "من يفعل ما أمرت به فهو معنا ومنا، ومن لا يفعل فهو ليس معنا". وكان من بين مريدي الشيخ مغني مشهور جدا " أريك طمسون " وطلب منه ترك الموسيقى والغناء وكان عليه الطاعة أو ترك الطريق. وأعتقد أنه لم يستطع أن يترك الشهرة، الطاعة في الطريق أمر مهم لأن طريق الله منهجه أن يختبر الإنسان في شيء متعلق به ويحبه كثيرا حتى يكون اختباراً حقيقياً، وعلى المؤمن أن ينفذ حتى يرتقي في الطريق.

وكان للشيخ نظرة خاصة لكل مريد هناك من يقول له عليك بدخول "خلوة" وهناك من المريدين من يطلب من الشيخ هذا الأمر. والشيخ لا يسمح له، ولم يسبق لي أن أمرني الشيخ بالدخول في "خلوة". ولكن سبق أن أرسل لي الشيخ مع أحد المريدين أمراً بأن أترك الترجمة فترة من الوقت ولا أعود إليها إلا بأمر من الشيخ. والتزمت فورا بأوامر الشيخ؛ وربما يكون السبب أنني في ذلك الوقت كنت أعمل كثيرا وقد يكون الطمع مني في زيادة الكسب وراء هذا الأمر من الشيخ.

وفي أحد الاحتفالات بالمولد بجنوب أفريقيا تم دعوة الشيخ محمد القسبي لزيارة الشيخ عبد القادر الصوفي والتعرف عليه. وكنت مصاحباً له في هذه الزيارة وبعد الاحتفال بالمولد جلس الشيخ عبد القادر الصوفي مع الشيخ وأهداه سوطاً من الجلد الطبيعي من روسيا؛ كان قد أهداه أحد الفقراء للشيخ، وعندما أعطاه للشيخ القسبي قال له: عليك وضعه معلقاً على الحائط وراءك وأنت جالس في مكتبك حتى يراه كل من يأتي للسؤال عن المسائل الفقهية أو أي مسائل خاصة بالأمور الدينية. وكأن هذا الأمر هو إشارة للشيخ محمد القسبي برغبة الشيخ عبد القادر الصوفي أن يكون أكثر حزماً مع الناس وأكثر قوة وكأنه يطلب منه أن يعمل بمبدأ " العصا لمن عصى". وهذا يدل على بصيرة الشيخ عبد القادر الصوفي في نظرته للشيخ القسبي ؛ وما يتسم به من صفات "الجمال" أكثر من "الجلال" ولذلك أراد أن يهديه هذه الهدية لإضفاء قدر من صفة الجلال عليه. وهذا هو منهج الشيخ عبد القادر يفهم من حوله ويتعامل معه بما يتلائم ومكانة وشخصية من أمامه.

لذلك منذ وفاة الشيخ عبد القادر وحتي الآن لا نرى في أحد من تلاميذ الشيخ من يصلح للقيام بدور من أدوار ومهام الشيخ، وهي في الحقيقة أدوار بطولية، وهو كان رمزاً للشجاعة والقوة. وإنما الأمر يظل كما نظمه الشيخ عبد القادر؛ لكل مسجد: أمير قائم على شؤون المسجد –كما سبق وذكرنا– وهؤلاء الأمراء هم المسؤولون عن المهام الإدارية في المساجد، أما ما يتعلق بالشؤون الدينية لكل مسجد: "مقدم" و"شيخ" لخطبة الجمعة وللدروس وللحضرة وهكذا. ولا أعتقد أن الطريقة سوف تستمر كما كانت من إحياء الليالي الخاصة بالاحتفالات الصوفية، وكذلك الدروس التي كان يحرص على إعطائها الشيخ عبد القادر الصوفي في مختلف بلدان العالم ألمانيا وإنجلترا وفرنسا وأسبانيا وجنوب أفريقيا. والأمر المسلم به أن دوام الحال من المحال.

الاختبارات في طريقة المرابطين

الاختبارات في الطريق الصوفي للفقراء أمر ضروري وهي تتفق والآية الكريمة (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) (سورة العنكبوت آية 2). ولمعرفتي بأهمية الاختبار في الطريق من أجل الترقي ؛ كنت دائماً أدعو الله ألا يجعل اختباري في شيخي الشيخ عبد القادر. أسير في الطريق وأتبع الأوامر قدر المستطاع، وأفعل ما يأمرني به الشيخ، ولكن كان دائماً لدي خوف دفين يجعلني أدعو الله كثيرا ألا أختبر في شيخي؛ وهذا ما حدث بالفعل لبعض المريدين الذين عجزوا عن طاعة الشيخ والتسليم لأوامره. وأعلم جيداً أنني بشر وأعلم أن الاختبارات واردة في الطريق وهي صعبة، لأنها ضرورية لمعرفة همة المريد ومدى صدقة. في بداية الطريق تزداد همة المريد ورغبته الشديدة في القيام بأعمال كثيرة؛ بينما بعد فترة من السير في الطريق تتحول الهمة للقيام بالأعمال إلى مجرد قول دون الفعل. بل وبعض المريدين لا نجد لدية الهمة الحقيقية للقيام بالأدوار المنوطة بهم أو بما يأمرهم به الشيخ. لذلك الاختبار لا مفر منه للمؤمن من أجل معرفة ذاته، ومعرفة حقيقته. وكثير من الفقراء لا يعرف نفسه جيداً إلا بعد هذه الاختبارات، التي الهدف منها معرفة الذات والنفس. والفقير الصادق هو الذي يدرك أهمية الاختبار؛ ولا يجد في نفسه ضيقا من هذه الاختبارات؛ بل البعض يسعد بها من أجل إدراك ومعرفة حقيقة نفسه؛ حتى يتمكن من تهذيبها والتغلب عليها. ومن الأقوال المأثورة لدى الصوفية: "من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه عرف نفسه". ولذلك كنت دائما أدعو الله ألا أفتن في شيخي، أو أختبر فيه أو يحدث لي شيء ما يجعلني في ضيق وقلق بدخول الشك في قلبي تجاه الشيخ والطريق. وخاصةً أن الشيخ يأمر الفقراء أو المريدين؛ ويترك الأمر بحرية تامة للمريد ،كي يختار الطاعة والاستمرار مع الجماعة أو عدم الالتزام والخروج من الجماعة. ومن المتبع في الطريق الاستئذان من الشيخ في السفر، وفي المشاركة في بعض التظاهرات التي تقام في مختلف البلدان، أو المشاركة في المؤتمرات الإسلامية والدروس الحسنية. وعلينا أن نلتزم بما يأمر به الشيخ؛ سواء الموافقة لنا أو الرفض. وفي حالة الرفض يرسل لنا الشيخ قائلاً "من يلتزم بما قلته، ولا يشارك ولا يحضر فهو منا، ومن لا يلتزم ويشارك فهو ليس منا".

نعلم أن المشايخ كثيرا ما يلجؤون إلى اختبار الفقراء من أجل معرفة أفكارهم وطبائعهم وما يدور بذهنهم؛ ونذكر على سبيل المثال: ذات يوم جاء الشيخ وجمعنا وكنا تقريباً أربعة ونحن في غرناطة بأسبانيا وقال: أريد من كل واحد أن يقدم لي هدية؛ وتركنا نفكر، والمتبع في هذه الأمور أن يقدم كل واحد هدية على قدر استطاعته، وعلى سبيل المثال قدم أحدنا سجادة هدية –وكان لدية محل كبير يباع فيه السجاجيد "الزرابي الإيراني" القيمة؛ وأعجب بها الشيخ كثيراً. وآخر كان رجلاً ثرياً وأهدى الشيخ ساعة ثمينة. وكنت في ذلك الوقت لا أملك الكثير من المال؛ ووجدت عندي مصحفاً قيماً مغربياً مجلداً بجلد مميز، والمصحف كان بأمر من الملك الحسن الثاني وفكرت أن أهديه للشيخ وكان يجلس مع كل واحد منا على حدة، ويقدم له الهدية ويتكلم معه وقال لي هذه العبارة: "في قرآنك سر" وسمعت ما قال وانتظرت من الله عز وجل أن يطلعني على "السر" لأن "السر" يكشف للفقير ولا يسأل عنه. وكانت عبارة الشيخ هذه بشرى لي؛ وبعدها بفترة ليست كبيرة جاء لي طلب من الجهات السعودية بترجمة القرآن الكريم للغة الأسبانية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل طلب مني إعطاء دروس لتفسير آيات من القرآن الكريم. وبذلك علمت أن الشيخ له في تربية الفقراء أسرار.

وذات يوم وجدت أحد المريدين يتصل بي لتسليمي ورقة مرسلة من الشيخ وعندما التقيت به؛ وجدتها ورقة كتبها الشيخ وموقعة من اثنين من مريدي الجماعة بشأن أن يتملك ابني الأكبر شقة لدي. وكان ما علي إلا الموافقة والتنفيذ. واتضح لي من بعد أنه ذهب إلى الشيخ وطلب منه التدخل في هذا الأمر؛ حتي يتمكن من الحصول على الشقة التي عندي وهي ملك أمي، التي لازالت على قيد الحياة. درس الشيخ عبد القادر هذا الموضوع واستدعي اثنين من إنجلترا من أجل النقاش معه في هذا الأمر وانتهى الموضوع بإعداد الورقة المكتوبة الموقعة ممن وقع عليهم الاختيار للتدخل بإبلاغي وأمري بإعطاء الشقة لزوجتي الأولى باسمها. وبعد تسلمي هذه الورقة بلغت من تدخل من المريدين لإبلاغ ما أمر به الشيخ؛ أن الشقة ليست ملكي الآن وهي ملك أمي، لذلك ليس لدي حرية التصرف فيها. ويمكن لي بعد عمر طويل لوالدتي تنفيذ ما طلبه الشيخ. وكانت هذه نيتي على أن تكون لابني الكبير لأنه لم يتزوج بعد، وعندي الابن الثاني متزوج ولديه اثنان من الأولاد، وابنتي مريم لديها اثنان من الأبناء.

وتعرضت لاختبار آخر في الطريق في فترة من الوقت استأجرت محلاً لبيع التحف والهدايا للسياح، ولكنني لم أكن ماهراً في هذه المهنة ولم أربح منها الكثير. وذات يوم بينما أنا جالس بالمحل حضر إلى أحد فقراء الطريق من جماعة المرابطين بجنوب أفريقيا وقال لي: "نحن نجمع تبرعات من أجل الإنفاق على المسجد؛ وقد أتيت إليك بأمر من الشيخ لطلب التبرع". فكرت قليلا ولا أنكر أنني فكرت أولا في الاعتذار؛ لأنني في ذلك الوقت لم يكن معي الكثير من الأموال، ولكن سرعان ما وجدت نفسي تحدثني قائلة : إذا كان الشيخ والفقراء في ضائقة مالية؛ وفي حاجة إلى جمع الأموال، يجب على أن أقف إلى جانبهم وأساعد بالمتاح قدر الاستطاعة، وفعلا قدمت 50 يورو. وفي نهاية اليوم وأنا جالس في المحل حضر إلى سائح من أمريكا، أخذ هدايا ومشتريات بما يقرب من 5000 يورو ووقتها أدركت فعلا حقيقة "أن الحسنة بعشرة أمثالها". وجعلني الله أراها رأي العين وهذا هو حق اليقين. وهذا بلا شك كان اختبارًا، لي والحمد لله أنني نجحت فيه. أحيانا تقرأ الآية أو الحديث وتدرك أنهما حقيقة، ولكن عندما يحدث لك موقف تشعر فيه بصدق الآية؛ وتجد نفسك في حال تصديق أقوى من قبل، وهذا هو حقيقة ما شعرت به.

كرامات الطريق

أجمع أئمة التصوف على أن الكرامة فعل مناقض للعادة يظهر على العبد تخصيصاً له وتفضيلاً؛ وقد يحصل له باختياره ودعائه، وقد يكون بغير اختياره في بعض الأوقات. (أبو القاسم القشيري: المرجع السابق، ص174). والكرامة قد تكون علامة على صدق الولي؛ وعون له على طاعة الله عز وجل ودليلاً على حسن استقامته وصدق دعواه. (مصطفى عبد الرزاق: "التصوف" دائرة المعارف الإسلامية، المجلد التاسع، مطبعة الشعب، القاهرة، ص348).

ذكر الشيخ عبد الغني ميلارا: "في بداية أمرنا كنا نعيش والحمد لله فقراء حق ليس بمعني الفقر لله بل الفقر الحقيقي في كل شيء، تركنا الأوطان والدراسة، وليس لدينا عمل نتقاضى عليه راتبًا. وكنا شبابًا نسكن مع بعضنا البعض؛ وفي مناسبات كثيرة لم يكن لدينا أي شيء يمكن أن يأكل. وفجأة نجد الباب يدق، وبفتح الباب نجد أحد الأفراد غير المعروف لنا يحضر إلينا طعامًا شهيًا من الدجاج والحليب،

وأحيانا أخرى يقدم إلينا "خروفًا" كامل مشوي". وفي الحقيقة حدث ذلك معنا أكثر من مرة. وكان ذلك درس لنا لنعلم أن الله عز وجل يطعمنا ويسقينا، وأن الطعام يأتي لنا من حيث لا نحتسب. ومع مرور الزمان أدركنا أن الإسلام هو "الحق" ونحن في الطريق الحقيقي له. وفي طريقي إلى الله أجد الله يأخذنا إليه سبحانه من مكان لآخر ومن شخص لآخر بطريقة عجيبة. ومن فضل الله علي أن كتب لي مصاحبة كثير من المشايخ من المملكة المغربية، وتمكنت من استضافة بعضهم في بيتي. وهذا الأمر في الحقيقة أعتبره توفيقًا وكرمًا من الله؛ وإن دل إنما يدل على منح الله لي كثيرًا من الخير والبركة في الطريق. كما أنني أشعر أن الله عز وجل خصني عن غيري من المريدين بالاتصال الروحي بالشيخ عبد القادر وبشيخه الشيخ بن حبيب؛ على الرغم أني لم ألتقي به، ولكنني أشعر بحب شديد له ولفقراء الطريقة الحبيبية بمكناس. وفي الحقيقة قوي هذا الشعور لدي عندما أمرني الشيخ باستضافة سيدي "حميد غازي" في منزلي بغرناطة ومصاحبته لتسهيل مهام إجراءات حصوله على تأشيرة السفر إلى إنجلترا لمشاركته في إحدى الاحتفالات. سيدي حميد غازي مقرأ القرآن في الطريقة الحبيبية وكان ملازماً للشيخ بن حبيب في دروسه ويتمتع بصوت عال وقوي ومميز. كان يتمتع بحب الجميع وكان له محبة خاصة لدى الشيخ بن حبيب ومكانته لديه يعرفها كل من حوله. وكان يقول له: "نفسك جميلة وأنت جميل، وبشره الشيخ بن حبيب بالسفر إلى بلدان بعيدة وتم بالفعل دعوته إلى إنجلترا وغرناطة بدعوى من الشيخ عبد القادر الصوفي. وذكر لي سيدي حميد أنه رأي الشيخ بن حبيب في الرؤيا وقال له: ادخل وكأنه يأمره بالسماح بالدخول في بيتي؛ وشعرت في هذه الفترة وكأن الشيخ محمد بن حبيب زارني في بيتي، وقال لي سيدي حميد أنه رأى شيئا بهذا المعنى.

–أتذكر ونحن في الزاوية بمكناس في موسم الشيخ بن حبيب وبعد انتهاء الاحتفال وبعد الخروج من الزاوية ونحن عند الحديقة التي أمام الزاوية؛ جاء إلي رجل لا نعرفه يفتش بين الحضور وكأنه يقلب على أحد من بيننا نحن مسلمي أسبانيا ونحن نسير مع بعضنا البعض، ثم جاء متجهًا إلي وكأنه يبحث عني وقال لي: أخبر الشيخ عبد القادر، وقل له: "إنك على قدم نبي الله إدريس عليه السلام". وفي هذه اللحظة شعرت وكأن هذا الرجل مهمته أن يبلغني هذه الرسالة ولا أدري من هذا الرجل ولا أحد منا يعرفه. وأخذت الرسالة وأنا لا أعرف هل هي لي أم للشيخ عبد القادر؟. ولكن هذه الأشياء كان لها دور مهم في طريقي.

وأضاف الشيخ عبد الغني ميلارا قائلاً: أنه على الرغم مما سبق فإن أكبر كرامة حدثت لي هي هبة الله في منحي العلم الظاهر والباطن وهذا الأمر استشعرته بقوة ووضوح في إعداد الدروس والخطب يوم الجمعة وفي المناسبات الدينية.

إسلام الغرب من القلب إلى العقل

وما أكده مسلمو الغرب قيد الدراسة أن الاسلام بدأ من القلب؛ والتصوف لديهم علم فقه المعرفة وأساسه إصلاح القلوب، وقمته المعرفة في محيط ما وراء الطبيعة، ومن ثم وظيفة العقل معرفة الطبيعة (بالعلم) ووظيفة القلب معرفة ما وراءها من غيبيات؛ وذلك يتم بنور يقذفه الله في القلب، فيتحقق له الكشف والإلهام والشهود. وهو ما يعرف لدى الصوفية "العلم اللدني". (السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلي: المرجع معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف المعاصر، الطبعة الرابعة،1987، ص 61) وبهذا العلم يمكن اكتشاف بعض الحقائق

التي سبق أن ذكرت بالفعل في بعض آيات القرآن الكريم. وقال الله تعالى:" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق".(سورة فصلت آية 53). وهناك بعض الحقائق الفعلية لا زالت غير معروفة حتى الآن؛ ولابد من السعي من أجل الوصول إليها بالمعرفة. وهذا ما جعل رجال التصوف أكثر شغفاً نحو معرفة وفهم حقائق آيات القرآن الكريم. لذلك يسعى بعضهم لتعلم اللغة العربية لغة القرآن من أجل التأمل والتفكر، والبعض يسعى من أجل ترجمة القرآن لمختلف اللغات حتي يتسنى لهم فهم ودراسة واكتشاف بعض ما جاء به من حقائق تم ذكرها في القرآن الكريم. وقد تم بالفعل عن طريق جهود علماء القرن العشرين والحادي والعشرين الوصول إلى حقائق علمية دقيقة؛ ذكرت في بعض آيات القرآن الكريم منذ قرون؛ مما أكد أن القرآن الكريم حق، وأنه امتداد للكتب السماوية التوراة والإنجيل. ونذكر هنا بعضاً من هذه الآيات التي ذكرها بعض رجال طريقة المرابطين للدلالة فقط وليس بهدف البحث والدراسة. وإن كان هذا الأمر في حاجة إلى دراسة من المتخصصين لأهميته.

قال الله تعالى : وبالنجم هم يهتدون (سورة النحل آية 16).

اكتشف علماء الفضاء في أثناء رحلاتهم أن النجوم التي يهتدي بها الربان سائق المركبة الفضائية نجوم تحمل أسماء عربية؛ إذ وجدوا على وجه الدقة 43 نجمًا يحمل اسماً عربياً من بين عدد 51 نجمًا. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن العرب هم من برعوا في علم الفلك.

قال الله تعالى : "وبنينا فوقكم سبعا شدادا" (سورة النبأ آية 12) أثبت في القرن العشرين أن الغلاف الجوي للأرض يتكون من سبع طبقات. قال الله تعالى: "ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا " (سورة النبأ الآيتين 7/6) بالعلم أثبت أن الجبال لها جذور وهذا الجزء غير الظاهر أكبر من الجزء الظاهر بعشر أمثال أو أكثر، ولذلك يطلق عليه العلماء "الوتد"كما ذكر وصفه في القرآن الكريم منذ قرون.

قال الله تعالى: "مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان" (سورة الرحمن آية 19 / آية 20) أرسل الله عز وجل مرج البحرين (المالح والعذب) متجاورين متلاقيين لا فصل بينهما في مرأى العين، إذ بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى. لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحداهما على الآخر. كما هو في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وكذلك البحر الكاريبي والمحيط الأطلسي؛ وقد تم للباحثة رؤية هذا البرزخ أو الحاجز رأي العين في منطقة "بوغاز رشيد" يطلق على هذا المكان " البرزخ" وهو ملتقى نهر النيل مع البحر المتوسط. وفيها يظل كل بحر محتفظاً بخصائصه ويحصل النفع لكل منهما كما هو مقدر لهما.

قال الله تعالى: "وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" (سورة الحديد آية 25) أثبت العلم أن الحديد مادة أضيفت إلى الأرض من الخارج، ويتطلب تكوينه طاقة تتجاوز طاقة النظام الشمسي. وبذلك تم تأكيد أن الحديد أنزل إلى الأرض ولم يتكون فيها. سورة الحديد من سور القرآن الكريم التي قرأها كثير من الغرب ووجدوا بها حقائق تتناسب وتفكيرهم. وكانت سبباً في هداية الكثير منهم.

قال الله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون" (سورة الأنبياء آية 30) كل كائن حي يتكون من نسبة كبيرة من الماء، وفي حالة فقد هذه النسبة يتعرض للهلاك، هذه الحقائق لم يصل العلم إليها إلا باستخدام المجهر "المكرسكوب".

قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (سورة الإسراء آية 44) وتأكيداً لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ والمقصود هنا كل ما يتعلق بالإنسان والنبات والجماد. وقد استطاع العلماء تأكيد هذا المعنى بعد أن تم اكتشاف وجود الطاقة في كل شيء، وفي الجماد أيضاً، وكلُ يسبح بحمد الله عز وجل.

ونذكر مختصر لأهم دراسة قامت بها جامعة كاليفورنيا University of Southern California وجامعة شيكاغو University of Illinois Chicago وتم نشر البحث في Journal Nutrition and Healthy Aging. وكان الهدف من هذه الدراسة الوصول إلى أفضل طريقة لتجديد نظام المناعة في جسم الإنسان؛ بعد أن تبين أن نظام المناعة هو الذي يواجه الفيروسات والأوبئة والأمراض التي تهاجم الجسم من الخارج. وبعد دراسة مستفيضة انتهى البحث بهذه النتائج: وهي اتباع نظام غذائي يعرف بنظام الثلاثاً أيام المتتالية (16-8) والمقصود به صيام الجسم عن الأكل والشرب تماما لمدة 16 ساعة ثم الافطار لمدة 8 ساعات ويتكرر الأمر لمدة ثلاثاً أيام. وتبين أن بهذا النظام –الصيام- يتم تخلص الجسم من كل الخلايا التالفة، ثم وقت الأكل بعد هذه الساعات يتم إنتاج خلايا جزعية جديدة أكثر نشاطاً؛ مما يمكن الجسم من مواجهة أي وباء أو أي مرض يواجهه. وبعد هذه الدراسة توصلوا إلى أن هذا النظام هو ما أوصى به الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ أكثر من ألف وربعمائة عام حين قال عليه الصلاة والسلام : صيام ثلاثاً أيام من كل شهر هجري؛ هو صيام الدهر. أيام 15/14/13. من أجل صحة الجسد والنفس والروح. وبعد نتائج هذه الدراسة سمي هذا النظام "صيام المسلم" بهدف زيادة المعرفة. وهكذا تم التعامل مع هذا النظام بأنه أفضل طريقة لمواجهة الأوبئة والأمراض والفيروسات التي يمكن أن تهاجم جسم الإنسان في أي زمان وفي أي مكان.

وما أكده علماء الشرق والغرب أن إدراك العلم لبعض الحقائق الفعلية لازال محدوداً، على الرغم من السعي جاهداً من أجل الوصول إليها؛ ويرجع هذا الأمر إلى الحاجة إلى العلم الباطن "العلم اللدني" إلى جانب العلم الظاهر. ونذكر على سبيل المثال: حقيقة البراكين التي تواجه بعض الأماكن وكيفيه مواجهاتها. وكذلك خلق الأجنة في بطون أمهاتهم؛ وإتمام عملية الخلق في رحم الأم. وقد أقر الأطباء بعجز العلم عن الوصول لهذه الحقيقة. وكذلك حقيقة النوم والرؤيا أو الحلم وكيفية ذهاب الروح والعودة لحال اليقظة مرة أخرى. وغيرها كثير من التساؤلات وعلامات الاستفهام التي لا يستطيع العلماء حتى الآن الإجابة عليها أو الوصول إلى حقيقتها. وتظل هذه الحقائق هكذا دليلاً على قدرة الله وإرادة الله التي لا يستطيع العلم والعلماء مهما تقدمت أساليبهم ومناهجهم اختراقها.

المشاكل التي تواجه الطريقة

أولى المشاكل التي تواجه مريدي طريقة المرابطين بمختلف البلدان الأوروبية "اللغة العربية" ومحاولة قراءة الأوراد، لذلك لجأ البعض ممن يتكلمون العربية إلى محاولة كتابة "الورد" "كنز الحقائق" بالمنطوق الأسباني بأحرف إسبانية حتى يتسنى للجميع القراءة الجماعية السليمة. والأمر كذلك في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأخرى للحفاظ على العمل الجماعي السليم.

والمعتاد في المجتمعات الأوروبية التي لا يسمح فيها بالاستئذان للخروج من أجل قضاء الشعائر الإسلامية مثل "صلاة الجمعة" يتم الاتفاق على إرجاء شعائر صلاة الجمعة إلى الساعة الثالثة ظهراً تسهيلا على الجميع حتى يتسنى للجميع الحضور بعد مواعيد العمل. وكذلك في غرناطة أصبحت الحضرة كل يوم سبت بعد صلاة العشاء بدلا من يوم الخميس؛ حيث نهاية الأسبوع مما يمكن الجميع المشاركة بالحضور.

تزداد المشاكل التي يواجها المسلمون في البلدان الأوروبية بتزامن أفعال الإرهاب واستخدام العنف سواء في المجتمع ذاته أو في مختلف المجتمعات الأوروبية. من قبل كانت المشاكل شخصية ثقافية؛ شخص يقبلك وآخر لا؛ ولكن عندما تكون المشاكل سياسية على مستوى دول وليس على مستوى أفراد يزداد الأمر صعوبة لأنك تشعر بالعنصرية حقاً وهذا ما نشعر به في الأندلس.

وما يزيد الأمر صعوبة أن إشبيلية بصفة خاصة من أكثر المدن تعصباً للمسيحية؛ وهم يقولون وينادون بالتسامح وقبول الآخر في الأديان والديمقراطية وحرية الرأي من أجل أن يقال عنهم مجتمع يحقق الدمج والديمقراطية، ولكن الحقيقة مختلفة تماما. ونحن نراهم كما ذكر عنهم في الآية الكريمة: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدي الله هو الهدى" (سورة البقرة آية 120).

وفي الاحتفال بسيمانا سانتا "أسبوع الآلام" أو "الأسبوع المقدس" كما يطلق عليه في إشبيلية. حاول الشيخ عبد القادر توزيع منشورات باللغتين الأسبانية والإنجليزية تقول: إن ماتفعلونه في هذا الاحتفال ليس من الدين المسيحي بشيء بل كله شرك لأنه عبارة عن عبادة أصنام، والملابس التي تلبسونها هي أشبه بملابس "محاكم التفتيش" وتم تصوير ملابس محاكم التفتيش لإجراء المقارنة بينها وبين ملابس هذه الاحتفالات. وأضاف نبذه عن إنشاء محاكم التفتيش سنة 1480م –885هـ وهي كانت تلزم الناس إعتناق الديانة المسيحية قهراً باستخدام أشد أنواع العنف والتعذيب.وفي أثناء توزيع المنشورات بين المارة من المشاركين في الاحتفال؛ تم القبض على اثنين من جماعة المرابطين، وتم بالفعل وضعهما بالسجن عدداً من الأيام. مما أغضب الشيخ كثيراً؛ لأنه لم يتوقع ما حدث من السلطات، وفي ذات الوقت لا يريد أن يتسبب في أي أذى لأحد من أفراد الطريقة؛ ويريد لجميع مريدي الطريق أن يكونوا أحراراً من أجل نشر الإسلام والدعوة لله عز وجل. لذلك لجأ الشيخ عبد القادر على الفور إلى محامي من أجل الإفراج عمن تم القبض عليهم، بدعوى أنهم لم يفعلوا شيئاً يعاقب عليه القانون بالسجن، وتم الإفراج عنهما.

منذ ثلاث سنوات تقريباً فكر أحد الأفارقة من مسلمي السنغال في رفض هذا الأمر ذاته الاحتفال "بالأسبوع المقدس" بإشبيلية؛ ولكن بصورة مختلفة تماماً؛ أرهب الناس وأثار غضبهم ورفضهم لهذه الأفعال الإرهابية، عندما استطاع هذا الرجل التسلل بين المسيحين في أثناء الاحتفال "بسيمانا سانتا "، وأخرج من جعبته سيفاً، وقال بصوت عال "الله أكبر الله أكبر" حتى أرهب الناس وتحول الاحتفال إلى هرج ومرج مما أفسد الاحتفال عليهم، وكان هذا الأمر سبباً في زيادة مشاعر الغضب من المسيحين ضد المسلمين؛ وترتب على ذلك أذى

بتوجيه السب للمسلمين علناً، خاصةً النساء لمعرفتهم بارتداء الحجاب، أما الرجال فلم يتأثروا كثيراً لعدم تميز المسلم من غير المسلم. وتم وضع ملصقات على مساجد "إشبيلية" كلها تدعو لترك البلد والعودة لبلدكم "عودوا إلى بلدكم".تعبيراً عن الرفض.

نتائج الدراسة

كان من أهم نتائج الدراسة أن التصوف رغم أنه فرض عين على كل مسلم من حيث السعي نحو الأخلاق وتزكية النفس والمعرفة، فإن أالعروج في مراتب النفس العليا وتحقيق اليقين بالوصول إلى المعرفة؛ لايصل إليه كل من يسعى ويرغب، بل هم قلة من المختارين من الله عز وجل. لذلك بدأ تصوف نماذج طريقة المرابطين بالهبة والاختيار من الله عز وجل، مع السعي نحو المعرفة. وهذا كان الرد على التساؤل الأول للدراسة. والحقيقة التي أثبتتها الدراسات السابقة للتصوف في مصر والمغرب اختلاف التصوف باختلاف المجتمعات لما يتعرض له كل مجتمع من تحديات داخلية أو خارجية. وما أثبتته الدراسة التي نحن بصددها أن تصوف المجتمعات الغربية اختلف عن غيرها من المجتمعات، وهذا كان الرد على التساؤل الثاني للدراسة. وما أكده مشايخ طريقة المرابطين أن المنهج لديهم قائم على علاقة القلب بالقلب؛ وتقوية الرابطة الروحية بين المريد والشيخ بالالتزام بأوراد الطريقة والمداومة على الأذكار. وهذا إن دل فإنما يدل على أن الطرق الصوفية واحدة من حيث الهدف والغاية، بينما الاختلاف يكمن في الأسلوب والمنهج؛ وهذا ما اتضح في منهج التصوف بمختلف الطرق الصوفية في مصر –على سبيل المثال– الذى يغلب عليه طابع التصوف الجماعي؛ والعلاقة القوية المباشرة بين المريدين والشيخ. وعن نظرة رجال التصوف لذاتهم– التساؤل الثالث للدراسة– يرى الغالبية أنهم المختارون من الله، ولديهم شعور قوي بالخصوصية والتميز، وعليهم مسؤولية يجب تحملها وبذل الجهد من أجلها. ونذكر ما أطلقه شيخ طريقة المرابطين على ذاته نحن "الغرباء" معتمداً في ذلك على الحديث الشريف: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء". وترتب على هذا الشعور جعل التصوف الغربي لبعض رجال أو مشايخ التصوف تصوفاً حركياً ديناميكياً قائماً على الشجاعة في الجهاد والاجتهاد من أجل الارتقاء والترقي في الظاهر والباطن. وهذا كان الرد على التساؤل الرابع والأخير للدراسة. ومن أهم نتائج الدراسة ما فرضه الرجل الصوفي الغربي من إنشاء مؤسسات معاهد علمية إسلامية ومساجد دينية في مختلف البلدان الأوروبية؛ وإنشاء صفحة على شبكة الإنترنت من أجل التعريف بالدين الإسلامي وبث الدروس الدينية لناطقي اللغة الأسبانية في مختلف أنحاء العالم. وإجبار السلطات الأسبانية احترام الشعائر الإسلامية، بل وتوفير الأمن لهم بمختلف أماكن الاحتفالات الخاصة والعامة.

وما أكدته الدراسة أن لرجال تصوف جماعة المرابطين بالمجتمع الغربي دوراً مميزاً شهد مواقف جهاد بشجاعة في التصدي للضغوط والهجوم من قبل السلطات بمختلف المجتمعات الأوروبية. وهذا يدل على نظرتهم لذاتهم من حيث الخصوصية والتميز وثقتهم في الله؛ من حيث الشعور بالأمن والآمان وسر الأذن من الشيخ، والتوفيق من الله لتحقيق الدور المنوط بهم.

التوصيات

توصي الدراسة بمزيد من الدراسات الأنثروبولوجيا العربية ذات الطابع الثقافي والاجتماعي لمختلف مدن أسبانيا، خاصة ذات الأثر الثقافي الإسلامي ليس فقط بإقليم الأندلس؛ لتاريخ الحضارة الإسلامية بالمنطقة؛ بل وباقي المدن مثل فالنسيا Valencia، ومرسيا Murcia.

لما تتمتع به هذه المدن من الموروثات الثقافية الإسلامية؛ وهذا إن دل إنما يدل على تأثير الحضارة الإسلامية على مدن أسبانيا كافة، ليس فقط تاريخياً وأثرياً، بل ثقافياً واجتماعياً. ونذكر على سبيل المثال "مرسيا" بها متحف إسلامي عرف باسم "متحف المدينة" به مقتنيات إسلامية مميزة وعلى جدرانه أشعار الشيخ محي الدين بن عربي. شهدت المدينة وجود مؤسسة محي الدين بن عربي القائمة على جمع أعماله وعقد مؤتمرات لمناقشة الكتب والأبحاث والأشعار والمؤلفات الخاصة بالشيخ الأكبر كما يطلقون عليه. والمدينة اشتهر بها أئمة الصوفية؛ ومنها أتى الشيخ المرسي أبي العباس متجهاً إلى مصر وإلى الإسكندرية تحديداً. ويعتبر مسجد المرسي أبي العباس من أكبر مساجد مدينة الإسكندرية. وما أكده لنا مدير مؤسسة الشيخ الأكبر في أثناء زيارتنا الميدانية لمرسيا أن الجهات الرسمية بمدينة مرسيا بصدد دراسة وضع اسم الشيخ أبي العباس على أحد شوارع المدينة التي بها منزل الشيخ قبل انتقاله إلى مصر. وهذا الأمر يعد اعترافاً من الجهات الرسمية بدور هؤلاء المشايخ وأهميتهم للمجتمع.

المراجع

القرآن الكريم

The Holy Quran

(1) أبو العباس أحمد بن محمد زروق: قواعد التصوف، صححه محمد زهري النجار وراجعه على فرغلي، الطبعة الثانية، مكتبة الكليات الأزهرية، 1396-1976.

Abu Al-Abbas Ahmad Ibn Muhammad Zarruq: *Principles of Sufism*, edited by Muhammad Zahri al-Najjar and reviewed by Ali Farghali, 2nd edition, Al-Azhar Colleges Library, 1396 AH / 1976 CE.

(2) أبي القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1959.

Abu Al-Qasim Al-Qushayri: *Al-Risala al-Qushayriyya* (The Qushayri Epistle), 2nd edition, Al-Babi Al-Halabi Library and Press, Egypt, 1959.

(3) أبي حامد الغزالى: ميزان العمل، مكتبة محمد على صبيح وأولاده، 1963.

Abu Hamid Al-Ghazali: *The Scale of Action* (*Mizan al-'Amal*), Muhammad Ali Subaih and Sons Library, 1963.

(4) احمد بن المبارك: كتاب الابريز: من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء – المغرب. 1428هج 2007م.

Ahmad Ibn Al-Mubarak: *The Book of Al-Ibriz: From the Sayings of Sidi Abd al-Aziz al-Dabbagh*, edited by Asim Ibrahim al-Kayyali al-Husayni al-Shadhili, Dar al-Rashad al-Haditha, Casablanca – Morocco, 1428 AH / 2007 CE.

(5) السيد ابراهيم الخليل بن على الشاذلى: المرجع معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف المعاصر، قدمه وعلق عليه محمد زكي ابراهيم، الطبعة الرابعة، مؤسسات العشيرة المحمدية بمصر، 1407-1987.

Sayyid Ibrahim Al-Khalil Ibn Ali Al-Shadhili: *The Reference: The Landmarks of the Permissible and Forbidden in Contemporary Sufi Practices*, presented and annotated by

Muhammad Zaki Ibrahim, 4th edition, Al-'Ashira al-Muhammadiyya Foundation, Egypt, 1407 AH / 1987 CE.

(6) أمين بن عبد السلام الشعشوع :الموسيقي الأندلسية المغربية ، الآلة (التاريخ –المفاهيم – النظرية – الموسيقية) المسارة 2011 اسبانيا.

Amin ibn Abd Al-Salam Al-Sha'shu': *Andalusian Moroccan Music: The Instrument (History – Concepts – Theory – Music)*, Al-Masara, Spain, 2011.

(7) حلمي خليل: عربية الأندلس، دراسة في البنية اللغوية والاجتماعية لأهل الأندلس، ضمن بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ –كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية،1994م .

Hilmi Khalil: *The Arabic of Al-Andalus: A Study in the Linguistic and Social Structure of the People of Al-Andalus*, included in the proceedings of the Andalus Conference: Study and History – Faculty of Arts, Alexandria University, in cooperation with the League of Islamic Universities, 1994.

(8) عبد الحليم محمود: أبو بكر الشبلي، دار المعارف 1985.

Abd Al-Halim Mahmoud: *Abu Bakr al-Shibli*, Dar al-Ma'arif, 1985.

(9) عبد الحليم محمود: العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، مؤسسة دار الشعب، 1974.

Abd Al-Halim Mahmoud: *The Gnostic of God Bishr ibn al-Harith al-Hafi*, Dar al-Sha'b Foundation, 1974.

(10) عبد القادر الجيلاني الحسني: الغنية لطالبي طريق الحق في الاخلاق والتصوف والآداب الاسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1956.

Abd Al-Qadir Al-Jilani Al-Hasani: *Al-Ghunya li-Talibi Tariq al-Haqq fi al-Akhlaq wa al-Tasawwuf wa al-Adab al-Islamiyya* (Sufficiency for the Seekers of the Path of Truth in Ethics, Sufism, and Islamic Etiquette), Volume II, 3rd edition, Al-Babi Al-Halabi Press and Sons, Egypt, 1956.

(11) على بن عبد الرحمن المعروف ب"الجمل" نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

Ali Ibn Abd Alrahman, known as "Al-Jamal": *Advice to the Seeker in the Path of the People of Spiritual Discipline and Detachment*, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya Publications, Beirut – Lebanon.

(12) على سالم عمار: أبو الحسن الشاذلي ، الجزء الأول، مطبعة دار التأليف، 1962.

Ali Salim Ammar: *Abu al-Hasan al-Shadhili*, Volume I, Dar al-Ta'lif Press, 1962.

(13) مصطفى عبد الرازق: "التصوف" دائرة المعارف الإسلامية، عدد وتحرير ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الششتاوى وعبد الحميد يونس، المجلد التاسع، مطبعة الشعب، القاهرة.

Mustafa Abd Alraziq: "Sufism," *The Islamic Encyclopedia*, edited by Ibrahim Zaki Khurshid, Ahmad al-Shishtawi, and Abd al-Hamid Younes, Volume IX, Al-Sha'b Press, Cairo.

(14) منال جادالله: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف, 1997.

Manal Gadallah: *Sufism in Egypt and Morocco*, Manshat al-Ma'arif, 1997.

(15) Ian Dallas,: The book of Strangers, printed in the United States of America, 1988 .

ملحق رقم (1)

ورد طريقة المرابطين "كنز الحقائق".

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أستغفر الله (ثلاثاً) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثاً). لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (ثلاثاً). سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثلاثاً).

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (ثلاثاً). الحمد لله والشكر لله (ثلاثاً).

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (ثلاثاً).
بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (ثلاثاً) تبارك الله (ثلاثاً).

﴿ بسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَومِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ ٱهدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلمُستَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ آمين (ثلاثاً).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (مرة واحدة).

اللهم صَلِّ على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين (ثلاثاً) آمين آمين آمين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. اللهم إني أسألك إسلاما صحيحاً يصحبه الاستسلام لأوامرك ونواهيك، وإيمانًا خالصاً راسخاً ثابتاً محفوظاً من جميع الشُبَه والمهالك، وإحسانا يزج بنا في حضرات الغيوب ونتطهر به من أنواع الغفلات وسائر الغيوب، وإيقاناً يكشف لنا عن حضرات الأسماء والصفات، ويرحل بنا إلى مشاهدة أنوار تجليات الذات، وعلماً نافعاً نفقه به كيف نتأدب معك ونناجيك في الصلوات، واملأ قلوبنا بأنوار معرفتك حتى نشهد قيوميتك السارية في جميع المخلوقات. واجعلنا من أهل دائرة الفضل المحبوبين لديك، ومن الراسخين المتمكنين في التوكل وصدق الاعتماد عليك، وحقق رجاءنا بالإجابة ياكريم ياوهاب في كل ما سألناك، ولا تكلنا يا مولانا في جميع حركاتنا وسكناتنا إلى أحد سواك، فإنك عودتنا إحسانك من قبل سؤالنا ونحن في بطون الأمهات، وربيتنا بلطيف ربوبيتك تربية تقصر عن إدراكها العقول المنورات، فنسألك اللهم بنبيك الذي فضلته على سائر الأنبياء والمرسلين وبرسولك الذي جعلت رسالته عامة ورحمة للخلائق أجمعين، أن تصلي وتسلم عليه وعلى آله صلاة وسلاما ننال بهما محبته ومتابعته في الأقوال والأفعال والمراقبة والمشاهدة والآداب والأخلاق والأحوال، ونسألك يا مولانا بجاهه أن تهب لنا علماً نافعاً ينتفع به كل سامع، وتخشع له القلوب وتقشعر منه الجلود وتجري له المدامع، إنك أنت القادر المريد العالم الحي الواسع، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

اللهم صل وسلم بأنواع كمالاتك في جميع تجلياتك على سيدنا ومولانا محمد أول الأنوار الفائضة من بحور عظمة الذات المتحققة في عالمي البطون والظهور بمعاني الأسماء والصفات، فهو أول حامد ومتعبد بأنواع العبادات والقربات والممد في عالمي الأرواح والأشباح لجميع الموجودات، وعلى آله وأصحابه صلاة تكشف لنا النقاب عن وجهه الكريم في المرائي واليقظات، وتعرفنا بك وبه في جميع المراتب والحضرات و الطف بنا يا مولانا بجاهه في الحركات والسكنات واللحظات والخطرات (ثلاثاً).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (عشر مرات) ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ **(ثلاثاً)** ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (ثلاثاً) ﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (ثلاثاً) **ألا** يالطيف يالطيف لك اللطف فأنت اللطيف ومنك يشملنا اللطف لطيف لطيف إنني متوسل بلطفك فالطف بي، وقد نزل اللطف بلطفك عدنا يا لطيف، وها نحن دخلنا في وسط اللطف وانسدل اللطف، نجونا بلطف الله ذي اللطف إنه لطيف لطيف لطفه دائم اللطف، ألا يا حفيظ يا حفيظ لك الحفظ فأنت الحفيظ منك يشملنا الحفظ حفيظ حفيظ إنا نتوسل بحفظك فاحفظنا، وقد نزل الحفظ بحفظك عدنا يا حفيظ وها نحن دخلنا في وسط الحفظ وانسدل الحفظ، نجونا بحفظ الله ذي الحفظ إنه حفيظ حفيظ حفظه دائماً حفظ بجاه إمام المرسلين محمد فلولاه عين الحفظ ما نزل الحفظ عليه صلاة الله ما قال منشد إلا يا حفيظ ياحفيظ لك الحفظ. لا إله إلا الله (عشر مرات) سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ثبتنا يا رب بقولها وانفعنا يامولانا بذكرها وأدخلنا في ميدان حصنها واجعلنا من أفراد أهلها وعند الموت ناطقين بها عالمين بها واحشرنا في زمرة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعلى جميع عباد الله المؤمنين. آمين (ثلاثاً) وسلام على الأنبياء والمرسلين (ثلاثاً) وعلى جميع عباد الله الصالحين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك سيدنا زكريا عليه السلام، وانصرني بك لك وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك وحل بيني وبين غيرك، الله (عشر مرات) اللهم إني أسألك بسر الذات وبذات السر هو أنت وأنت هو احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم الله من عدوي وعدو الله ، بمائة ألف لا حول ولا قوة إلا بالله ختمت على نفسي وعلى ديني وعلى كل شيء أعطانيه ربي بخاتم الله المنيع الذي ختم به أقطار السموات والأرض، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليما كثيراً والحمد لله رب العالمين، يا ودود (ثلاثاً) ياذا العرش المجيد (ثلاثاً) يامبديء يا معيد (ثلاثاً) يافعالاً لما يريد (ثلاثاً) أسألك بنور وجهك الذي ملاء أركان عرشك (ثلاثاً) وأسألك بالقدرة التي قدرت بها على خلقك (ثلاثاً) وبرحمتك التي وسعت كل شيء (ثلاثاً) لا إله إلا أنت يا مغيث أغثنا (ثلاثاً) ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (عشر مرات) لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (عشر مرات) وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾ ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما عَلِم، وَزِنة ما عَلِم، ومِلأ ما عَلِم، وأضعاف أضعاف ذلك (ثلاثاً) ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾

اللهم افتح بصائرنا لمراقبتك ومشاهدتك بجودك وفضلك ونور سرائرنا لتجليات أسمائك وصفاتك بحلمك وكرمك، وأفننا عن وجودنا المجازي في وجودك الحقيقي بطولك ومنك وأبقنا بك لا بنا محافظين على شريعتك وسنة نبيك، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير بسر وبركة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾

(ملحق رقم2)

الصلاة الفيضية الكبرى على الحقيقة المحمدية العظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أفِض صلة صلواتك، وسلامة تسليماتك، على أول التعينات المفاضة من العماء الرباني، وآخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني، المهاجر من مكة "كان الله ولم يكن معه شيء" ثان، إلى مدينة "وهو الآن على ما عليه كان، محصى الحضرات الخمس في وجوده "وَكُلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مُبين" وراحم سائلي استعداداتها بنداء جوده "وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين" نقطة البسملة الجامعة لما يكون وكان، ونقطة الأمر الجوالة بدوائر الأكوان، سر الهوية التي في كل شيء سارية وعن كل شيء مجردة وعارية، أمين الله على خزائن الفواضل ومستودعها، ومقسمها على حسب القوابل وموزعها" كلمة الاسم الأعظم، وفاتحة الكنز المطلسم، المظهر الأتم، بين العبودية والربوبية، والنشاء الأعم الشامل للإمكانية والوجوبية، الطود الأشم، الذي لم يزحزحه التجلي عن مقام التمكين والبحر الخضم الذي لم تعكره جيف الغفلات عن صفاء اليقين، القلم النوراني الجاري بمداد الحروف العاليات والنفس الرحمني الساري بمواد الكلمات التامات، الفيض الأقدس الذاتي، الذي تعينت به الأعيان واستعداداتها، والفيض المقدس لاصفاتي الذي تكونت به الأكوان واستمداداتها، مطلع شمس الذات في سماء الأسماء والصفات، ومنبع نور الإفاضات في رياض النسب والإضافات، خط الوحدة بين قوسي الأحدية والواحدانية، وواسطة التنزل الإلهي من سماء الأزلية إلى الأرض الأبدية، النسخة الصغرى التي تفرعت عنها الكبرى، والدرة البيضا التي تنزلت إلى الياقوتة الحمرا، جوهر الحوادث الإمكانية التي لا تخلو عن الحركة والسكون، ومادة الكلمة الفهوانية الطالعة من كن "كن" إلى شهادة "فيكون" هيولى الصور التي لا تتجلى بأحد إلا مرة لا اثنتين، ولا بصورة منها لأحد مرتين، قرآن الجمع الشامل للممتنع والعديم، وفرقان الفرق الفاصل بين الحادث والقديم، صائم نهار"إني أبيت عند ربي" وقائم ليل "تنام عيناي ولا ينام قلبي" واسطة ما بين الوجود والعدم "مرجَ البحرَين يلتقيان"

ورابطة تعلق الحدوث بالقدم " بَينهما برزخٌ لا يبغيان" فذكلة دفتر الأول والآخر، ومركز إحاطة الباطن والظاهر، حبيبك الذي استجليت به جمال ذاتك على منصة تجلياتك، ونصبته قبلة لتوجهاتك في جامع تجلياتك وخلعت عليه خلعة الصفات والأسما، وتوجته بتاج الخلافة العظمى، وأسريت بجسده يقظة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حتى، انتهى إلى، سدرة المنتهى، وترقى إلى "قابَ قوسين أو أَدنى"، فأسر فؤاده بشهودك حيث لا صباح ولا مسا "ما كذبَ الفؤادُ ما رأى" وأقر بصره بوجودك حيث لا خلاء ولا ملا، "مازاغَ البصرُ وما طغى" صل اللهم عليه صلاة يصل بها فرعي إلى أصلي، وبعضي إلى كلي، لتتحد ذاتي بذاته، وصفاتي بصفاته، وتقر العين بالعين، ويفر البين من البين، وسلم عليه سلاما أسلم به في مبايعته، من التخلف، وفي طريق شريعته، من التعسف، لأفتتح باب محبتك إياي بمفتاح متابعته، وأشهدك في حواسي وأعضائي من مشكاة شرعه وطاعته، وأدخل وراءه إلى حصن "لا إله إلا الله" وفي أثره إلى خلوة "لي وقت مع الله" إذ هو بابك الذي من لم يقصدك منه سدت عليه الطرق والأبواب، ورد بعصا الأدب إلى إصطبل الدواب، اللهم يا رب يا من ليس حجابه إلا النور، ولا خفاؤه إلا شدة الظهور، أسألك بك في مرتبة إطلاقك عن كل تقييد، التي تفعل بها ما تشاء وتريد، وبكشفك عن ذاتك بالعلم النوري، وتحولك في صور أسمائك وصفاتك بالوجود الصوري، أن تصلي على سيدنا محمد صلاة تكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل، لأشهد فناء "ما لم يكن" وبقاء مالم يزل وأرى الأشياء كما هي في أصلها معدومة مفقودة، وكونها لم تشم رائحة الوجود فضلا عن كونها موجودة، وأخرجني اللهم بالصلاة عليه من ظلمة أنانيتي إلى النور، ومن قبر جسمانيتي، إلى جمع الحشر وفرق النشور، وأفض علي من سماء توحيدك إياك ما تطهرني به من رجس الشرك والإشراك، وأنعشني بالموتة الأولى والولادة الثانية، وأحيني بالحياة الباقية في هذه الدنيا الفانية واجعل لي نوراً أمشي به في الناس، فأرى وجهك أينما توليت بدون اشتباه ولا التباس، ناظراً بعيني الجمع والفرق، فاصلاً بين الباطل والحق، دالا بك عليك، وهاديا بإذنك إليك، "ياأرحم الراحمين"، صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تتقبل بها دعائي، وتحقق بها رجائي، وعلى آله آل الشهود والعرفان، وأصحابه أصحاب الذوق والوجدان، ما انتشرت طرة ليل الكيان، وأسفرت غرة جبين العيان، آمين، "وسلام على المرسلين"

والحمد لله رب العالمين.

(ملحق رقم3)

صلاة سيدي عبد السلام بن بشيش

اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولاشيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط.صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله.

اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك.

اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحبه، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من مواهب الفضل واحملني على سبيله إلى حضرتك، حملا محفوفاً بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحد ولا أحس إلا بها.

واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحه سر حقيقتي، وحقيقته جامع عوالمي، بتحقيق الحق الأول، يا أول يا آخر، ياظاهر ياباطن، اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحل بيني وبين غيرك. (الله، الله، الله) ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (ثلاثا).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ صلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وصحبه، عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات ربنا التامات المباركات).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾